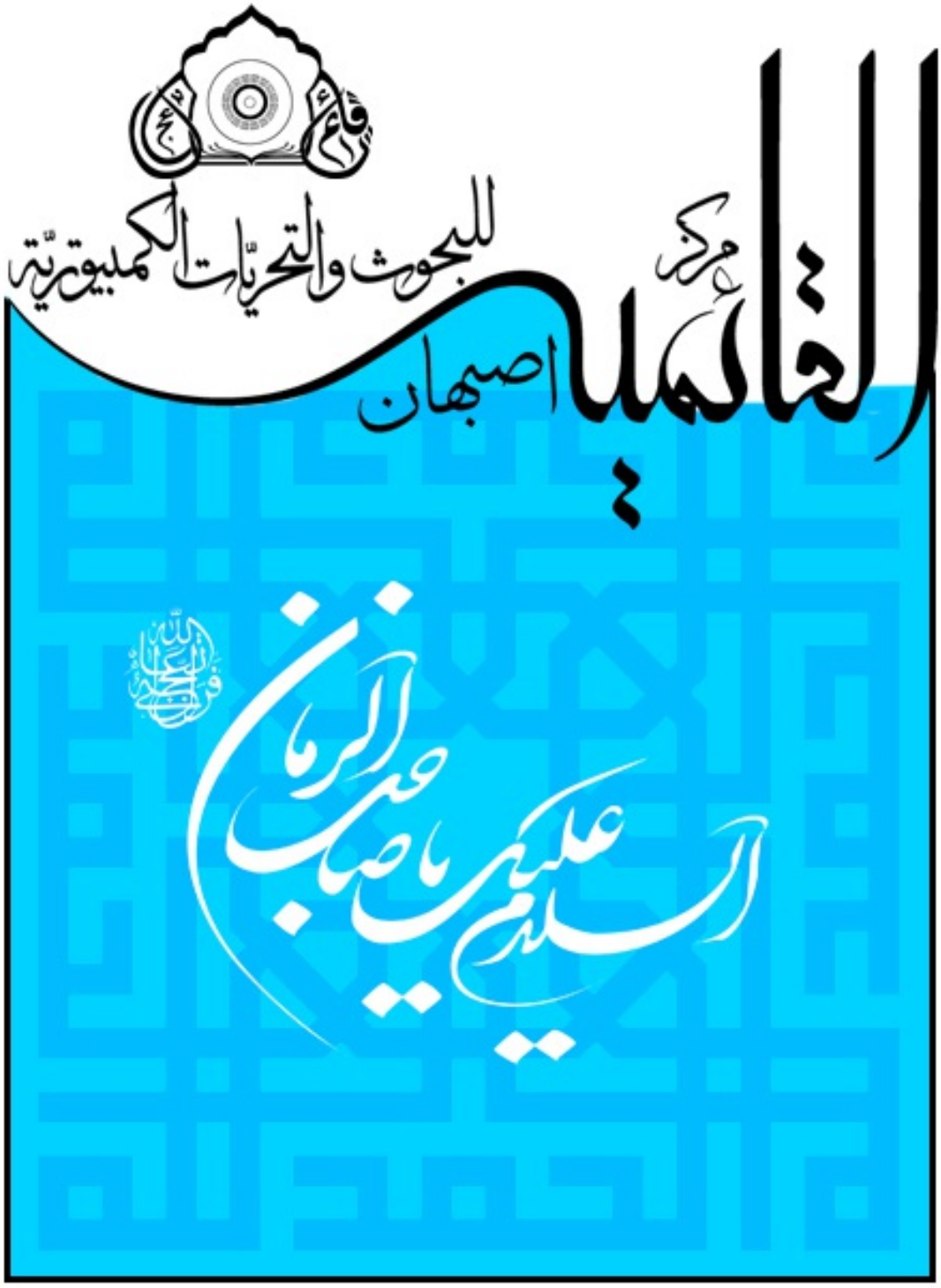

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الامام الكاظم عليه السلام

قدوة و أسوة

محمدتقي مدرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الامام الهادی قدوه الثائرین

كاتب:

محمد تقی المدرسی

نشرت فی الطباعة:

مركز الثقافی الاسلامی

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامام الکاظم (علیه السلام) قدوة و أسوة ----- ۷
اشارة ----- ۷
تمهید ----- ۷
الاصل الکریم والمولد المبارک ----- ۸
اشاره ----- ۸
ابواه ----- ۸
صفاته ----- ۸
نشأته ----- ۹
الامام وعصره ----- ۱۰
عصر الإمام موسی بن جعفر ----- ۱۰
عهد الرشید: قمة الإرهاب العباسی ----- ۱۱
محنة البیت العلوی ----- ۱۱
محنة العلماء الرساليين ----- ۱۲
التسلل إلی النظام ----- ۱۲
اشاره ----- ۱۲
قصة الدراعة ----- ۱۳
سریة الاتصالات ----- ۱۴
التقیة حتی فی کیفیة الوضوء ----- ۱۴
معاجز الإمام وعلمه ----- ۱۵
معاجز الإمام الکاظم ----- ۱۵
علم الإمامة ----- ۱۸
خلقه وفضائله ----- ۲۰

خلقه وفضائله ----- ۲۰
اشاره ----- ۲۰
عبادته وزهده ----- ۲۱
جوده وکرمه ----- ۲۱
علمه ----- ۲۲
شجاعته واستقامته ----- ۲۳
محنته وشهادته ----- ۲۳
پاورقی ----- ۲۵
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۲۷

الامام الكاظم (عليه السلام) قدوة و أسوة

اشارة

سرشناسه : مدرسی، محمدتقی، – ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور : الامام الکاظم قدوه و اسوه/ المولف محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر : مرکز الثقافی الاسلامی، ۱۴۰۶ق. = ۱۹۸۵م = ۱۳۶۵.

مشخصات ظاهری : [۹۵] ص

شابک : بها:۱۵ریال ؛ بها:۱۵ریال

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس

موضوع : موسی‌بن جعفر (ع)، امام هفتم، ق۱۸۳ – ۱۲۸

رده بندی کنگره : BP۴۶/م۴الف۸

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۶

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۰-۴۹۵۳

تمهید

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الهداة. فى الوقت الذى يشهد العالم بعثاً إسلامياً اصيلاً، ليكون أملاً فى أفئدة المحرومين، وخطراً على كيان الظالمين، يعكف مستكبروا العالم، والظالمون على دراسة الخطط الكفيلة بصدّ هذا الموج، أو لا أقل من احتوائه، ويهمس شياطينهم فى آذانهم أن لا- يفسد أمر آخر هذه الأمة إلّا بما أفسد أوّله، أى بث النواة الطائفية، وإقامة أنظمة التسلط والقهر باسم الدين، وبعث الروح فى العصبيات الجاهلية. فإذا بالاقلام المرتزقة تضرب على وتر الطائفية، وتهاجم مذهب آل البيت، ولا تفتأ تكرر من نغمة: الإرهاب الشيعى، عسى أن تثير أحقاداً أموية دفينة فى نفوس بعض المسلمين. وهكذا كان على الأقلام الشريفة والضمائر النظيفة أن تنهض بواجب المحافظة على مكاسب الأمة، وتحمى روافد البعث الإسلامى الجديد، من رجس الشياطين ونفثهم ووسوستهم وإعلامهم المضلل. ألا فلننبذ العصبيات الجاهلية، ولندافع عن رسالات الله، وعن رسله العظام (عليهم السلام) وعن رسول الله محمد بن عبد الله (ص)، وعن أهل بيته المظلومين (ع)، وعن الخط الرسالى الأصيل فى الأمة. إن الشيطان قد عبّأ قواه وجاءكم بخيله ورجاله وأعدّ لإغوائكم وصدّكم عن السبيل كل مكائده ومصائده، فلنتسلّح بمزيد من الوعى ولنكن على أشد الحذر، ولنتخذ أقلامنا دروعاً للدفاع عن مقدسات الأمة، وعن أهل بيت الرسول وعن سبيلهم القويم فى مقاومة أنظمة النفاق التى تعود اليوم إلى الظهور. وإنّى أرى بوضوح، أن الإهتمام بتراث آل البيت (ع) المتمثل فى نهجهم وسيرتهم وشرحهم لمعارف القرآن، وتفسيرهم لسُنة جدهم الرسول (ص) يضمن استمرار الثورة الإسلامية واستقامتها وانتصارها بإذن الله، وإن التهاون بهذا الشأن غلطة كبيرة وخطأ مميت. وفى اليوم الخامس والعشرين من شهر شوال لعالم ۱۴۰۵ ه والذى يصادف ذكرى وفاة الإمام الصادق (ع)، أبتدأ فى تأليف حلقة جديدة من سلسلة (قدوة وأسوة) تقص حياة نجل الإمام الصادق الإمام موسى بن جعفر (ع) تلك الحياة الحافلة بالعبر والدروس الثورية. وإنى أعتبر ذلك مساهمة بسيطة فى صدّ مؤامرات المستكبرين ضد خط آل البيت، ومكرهم فى احتواء البعث الإسلامى الأصيل. أسأل الله أن يوفقنى لإكمال هذه الحلقة وسائر الحلقات، وأن ينفعنى به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

الاصل الكريم والمولد المبارک

اشاره

يبدو أن قرية (الأبواء) الواقعة بين المدينة ومكة، كانت تستقطب قوافل الحجاج من آل البيت أكثر من غيرها، لأنها كانت مثوى أم الرسول آمنة بنت وهب. وفى طريقهم إلى المدينة قافلين من حج بيت الله الحرام [۱] حطت قافلة الإمام أبى عبد الله الصادق (ع) فى هذه القرية، وذلك فى اليوم السابع عشر من شهر صفر الخير، عام ۱۲۸ ه - على أشهر الروايات -، حيث قدم الإمام المائدة لضيوفه، وجاءه الرسول من عند نسائه تبشره بالوليد المبارک. تقول الرواية التاريخية - المأثورة عن منهال القصّاب قال: (خرجت من مكة وأنا أريد المدينة) فمررت بالأبواء وقد ولد لأبى عبد الله (ع) فسبقته إلى المدينة، ودخل بعدى بيوم فأطعم الناس ثلاثاً، فكنت آكل فيمن يأكل، فما آكل شيئاً إلى الغد حتى أعود فآكل، فمكثت بذلک ثلاثاً أطعم حتى أرتفق ثم لا أطعم شيئاً إلى الغد). وجاء فى حديث مروى عن ابى بصير قال: (كنت مع أبى عبد الله (ع) فى السنة التى ولد فيها إبنه موسى (ع)، نزلنا الأبواء وضع لنا أبو عبد الله (ع) الغذاء ولأصحابه وأكثره وأطابه، فبينما نحن نتغدى إذ أتاه رسول حميدة أن الطلق قد ضربنى، وقد أمرتنى أن لا أسبقک بابنک هذا. فقام أبو عبد الله فرحاً مسروراً، فلم يلبث أن عاد إلينا حاسراً عن ذراعيه ضاحكاً سنّه، فقلنا: أضحک الله سنّک، وأقر عينک، ما صنعت حميدة؟ فقال: وهب الله لى غلاماً وهو خير من برأ الله، ولقد خبرتنى عنه بأمر كنت أعلم به منها، قلت: جعلت فداک وما خبّرتک عنه حميدة؟ قال: ذكرت أنه لما وقع من بطنها وقع واضعاً يديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء، فأخبرتها أن تلک أمارة رسول الله (ص) وأمارة الإمام من بعده. فقلت: جعلت فداک وما تلک من علامة الإمام؟ فقال: إنه لما كان فى الليلة التى علق بجدى فيها، أتى آت جدّ أبى وهو راقد، فأتاه بكأس فيها شربة أرقّ من الماء، وأبيض من اللّبن، وألين من الزبد، وأحلى من الشهد، وأبرد من الثلج، فسقاه إيّاه وأمره بالجماع، فقام فرحاً ومسروراً فجامع فعلق فيها بجدّى، ولما كان فى الليلة التى علق فيها بأبى أتى آت جدى فسقاه كما سقى جدّ أبى وأمره بالجماع، فقام فرحاً مسروراً فجامع فعلق بأبى، ولما كان فى الليلة التى علق بى فيها، أتى آت أبى فسقاه وأمره كما أمرهم، فقام فرحاً مسروراً فجامع فعلق بى، ولما كان فى الليلة التى علق فيها بابنى هذا أتانى آت كما أتى جدّ أبى وجدّى فسقانى كما سقاهم، وأمرنى كما أمرهم، فقمت فرحاً مسروراً بعلم الله بما وهب لى، فجامعت فعلق بابنى هذا المولود، فدونكم فهو والله صاحبكم من بعدى) [۲] . فلما أن عاد الإمام إلى المدينة أطعم الناس ثلاثاً وتباشر الناس بالوليد المبارک.

ابواه

والده: إمام الهدى أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع). والدته: حميدة البربرية التى ربما كانت من الأندلس أو من المغرب، وكانت تلقب ب (حميدة المصفاة). وقد كانت حميدة من فضليات النساء حيث اضطلعت بمهمة نشر الرسالة، وقد روت بعض الأحاديث عن زوجها (ع). فعن ابن سنان، عن سابق بن الوليد، عن المعلّى بن خنيس أن أبا عبد الله (ع) قال: (حميدة مصفّاة من الأدناس، كسبيكة الذهب، ما زالت الأملاک تحرسها حتى أُدِّيت إلىَّ كرامةً من الله لى والحجة من بعدى) [۳] .

صفاته

كانت ملامحه الشخصية (ع) تعبر عن تلک النفس الكبيرة، وتلک المسؤولية العظمى التى كان عليه أدائها. ذلک الهاشمى الكريم أزهر الملامح، مربع القامة، تمام خضر، حالک، كث اللحية، يفيض مطابة وجلالاً. وتكشف ألقابه عن الصفات الرسالية التى تجلّت فيه فهو: الكاظم والصابر والصالح، والأمين. وفعلاً كانت حياته حافلة بتجليات هذه الصفات الفضيلة.

نشأته

خلال عشرين عاماً من عمره الشريف كان والده الإمام أبو عبد الله الصادق (ع) يتعهده بالرعاية، ويشير إلى فضائله ويبين لخاصة أوليائه أنه سيد ولده، وأنه الإمام من بعده. إن الإمامة لابد أن تكون بنص صريح، وقد تواترت النصوص على الأئمة الإثنى عشر من الرسول الأكرم (ص)، وهكذا كان كل إمام يوصى بمن بعده، فلهذا كان الموالون لآل البيت (ع) حريصين على التأكد من إمامهم يسألون السلف عن الخلف. يروى عبد الرحمن بن الحجاج يقول: دخلت على جعفر بن محمد فى منزله وهو فى بيت كذا من دار، فى مسجدٍ له وهو يدعو، وعلى يمينه موسى بن جعفر يؤمّن على دعائه، فقلت له: جعلنى الله فداك قد عرفت انقطاعى إليك، وخدمتى لك، فمن وليّ الأمر بعدك؟ قال: (يا عبد الرحمن إن موسى قد لبس الدرع فاستوت عليه، فقلت له: لا أحتاج بعدها إلى شىء) [۴] . وكان الإمام الصادق (ع) يوصى سائر أبنائه بحق ابنه موسى (ع)، فهذا عبد الله بن جعفر أكبر سناً من الإمام موسى يتحدث إليه والده ويقول له: ما يمنعك أن تكون مثل أخيك، فوالله إنى لأعرف النور فى وجهه، فقال عبد الله: وكيف؟ أليس أبى وأبوه واحداً؟ وأصلى وأصله واحداً؟ فقال له أبو عبد الله: (إنه من نفسى وأنت ابنى) [۵] . وكانت حياة الإمام موسى (ع) متميّزة منذ الصبا، ولذلك فقد كانت فى ذلك أمارة مقامه العظيم. جاء فى حديث مأثور عن صفوان الجمّال وهو من خواصّ الشيعة، سألت أبا عبد الله عن صاحب هذا الأمر، قال: صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب، وأقبل أبو الحسن وهو صغير ومعه بهمة عناق مكية [۶] ويقول لها: (اسجدى لربك، فأخذه أبو عبد الله وضمه إليه وقال بأبى أنت وأمى من لا يلهو ولا يلعب) [۷] . وهكذا شبّ موسى بن جعفر محبوباً بين إخوته بسبب وصفه المميز، وعملا بوصايا والده بحقه، فكان بين إخوته المتمسّكين بولاية على بن جعفر، جاء فى الحديث المأثور عن محمد بن الوليد قال: (سمعت على بن جعفر بن محمد الصادق (ع) يقول: سمعت أبا جعفر بن محمد (ع) يقول لجماعة من خاصته وأصحابه: استوصوا بموسى ابنى خيراً فإنه أفضل ولدى، ومن أخلّف من بعدى وهو القائم مقامى والحجة لله عزّ وجلّ على كافة خلقه من بعدى، وكان على بن جعفر شديد التمسك بأخيه موسى، والإنقطاع إليه، والتوفر على أخذ معالم الدين منه، وله مسائل مشهورة عنه، وجوابات رواها سماعاً منه، والأخبار فيما ذكرناه أكثر من أن تحصى على ما بيَّناه ووصفناه) [۸] . ولأن عهد الإمام الصادق (ع) مميَّز ببعض الانفراج، وقد انتشرت معارف أهل البيت وأصبح مذهبهم من بين المذاهب الأكثر شيوعاً واتباعاً فى العالم الإسلامى، فلقد كان الخوف على مستقبل الطائفة شديداً، حيث كان يخشى من طمع بعض القيادات فى الرئاسة على الطائفة، وربما انجرف معهم بعض أولاد الإمام الصادق أو أحفاده، لذلك فقد كان تأكيد الإمام على أن الوصى بعده ابنه موسى شديداً ومستمراً. وهكذا كان فلقد انحرف البعض وزعم أن الوليّ بعد الإمام الصادق (عليه السلام) ابنه الأكبر إسماعيل، وقالوا بأنه لم يمت على عهد أبيه إنما غاب عن الأنظار. وكانت الفرقة الإسماعيلية ذات الشوكة التى أسست أكبر حركة ثورية بعد الحركة الرسالية، وبَنت دولة عظيمة فى شمال إفريقيا وكانت هذه الحركة وليدة هذا التصور الخاطىء. من هنا أشهد الإمام الصادق (ع) كبار شيعته على وفاة ابنه وأكد لهم أن الوصى الحق بعده إنما هو موسى (ع). فلقد روى عن زرارة بن أعين أنه قال: (دخلت على أبى عبد الله (ع) وعن يمينه سيد ولده موسى (ع) وقدّامه مرقد مغطى، فقال لى: يا زرارة جئنى بداود الرّقى، وحمران، وأبى بصير، ودخل عليه المفضل بن عمر، فخرجت فأحضرت من أمرنى بإحضاره، ولم يزل الناس يدخلون واحداً إثر واحد، حتى صرنا فى البيت ثلاثين رجلاً. فلما حشد المجلس قال: يا داود اكشف لى عن وجه اسماعيل، فكشف عن وجهه، فقال ابو عبد الله (ع): يا داود أحىّ هو أم ميت؟ قال داود: يا مولاى هو ميت، فجعل يعرض ذلك على رجل رجل، حتى أتى على آخر من فى المجلس وكل يقول: هو ميت يا مولاى، فقال: اللهم اشهد ثم أمر بغسله وحنوطه، وإدراجه فى أثوابه. فلما فرغ منه قال للمفضل: يا مفضل أحسر عن وجهه، فحسر عن وجهه فقال: أحىّ هو أم ميت؟ فقال ميت قال: اللهم اشهد عليهم، ثم حمل إلى قبره، فلما وضع فى لحده قال: يا مفضل أكشف عن وجهه، وقال للجماعة: أحىّ هو أم ميت؟ قلنا له: ميت فقال: اللهم اشهد، واشهدوا فإنه سيرتاب المبطلون، يريدون إطفاء نور الله بأفواههم ثم أومأ إلى موسى، والله متم نوره ولو كره المشركون، ثم حثوا عليه التراب، ثم أعاد علينا القول فقال: الميت المكفن المحنط المدفون فى هذا اللحد من هو؟ فقلنا:

إسماعيل قال: اللهم اشهد، ثم أخذ بيد موسى (ع) وقال: هو حق والحق معه ومنه، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها) [۹] .

الامام وعصره

عصر الإمام موسى بن جعفر

لقد كانت مدّة إمامة الكاظم (ع) خمسةً وثلاثين عاماً حيث اضطلع بها منذ أن كان عمره عشرين ربيعاً عام ۱۴۸ ه إلى أن استشهد عام ۱۸۳ ه وعمره خمسة وخمسون عاماً. وهكذا عاصر من ملوك بنى العباس بقية ملك المنصور، وملك المهدى لمدة (۱۰) سنوات، والهادى لمدة سنة واحدة، وهارون الملقب بالرشيد لمدة (۱۵) عاماً. وكان ملك بنى العباس من أقوى ما يكون خلال هذه الفترة حتى سمّى عصر الرشيد بالعصر الذهبى، ولا ريب أن قوة البلاد الإسلامية خلال هذا العصر لا يمكن قياسها بسائر العصور، وفى ذات الوقت كانت الحركة الرسالية قد بلغت من القوة خلال عهد الإمام الكاظم (ع) ما أهّله للقيام بثورة شاملة لولا بعض الأقدار التى منعت اندلاع الثورة، وأخرت نجاحها. وقد بلغ الصراع بين السلطة العباسية والحركة الرسالية الذّروة فى عهد الرشيد، حيث نستوحى من مجموعة نصوص وحوادث تاريخية أن مخطط الثورة كان جاهزاً، وأن السلطة العباسية قد فشلت فى احتواء الثورة على أنها كانت فى عصرها الذهبى، ذلك لأن أنصار الحركة الرسالية قد ازدادوا ليس فقط بين الناس بل كان بعض كبار رجالات الدولة يميلون إلى حدٍ ما إلى الحركة الرسالية، ولعل ذلك يفسر لنا محاولة المأمون العباسى خليفة الرشيد، للتقرب إلى البيت العلوى وبالذات إلى الإمام على بن موسى الرضا (ع) الذى قتل الرشيد والده (ع). والحوادث التى تهدينا إلى تلك الحقيقة هى التالية: هناك بعض الأحاديث التى تدل على أنه كان المقدر أن يقوم الإمام السابع بالأمر، وقد اشتهر عند الشيعة أنه القائم من آل محمد (ص) وأنه لا يموت حتى يملأ الله على يديه الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً. فعن أبى حمزة الثمالى قال: قلت لأبى جعفر (ع) إن علياً (ع) كان يقول: (إلى السبعين بلاء، وكان يقول: بعد البلاء رخاء) وقد مضت السبعون ولم نر رخاءً، فقال أبو جعفر (ع): (يا ثابت إن الله تعالى قد وقّت هذا الأمر فى السبعين، فلما قتل الحسين اشتد غضب الله على أهل الأرض فأخّره إلى أربعين ومائة سنة، فحدثناكم فأذعتم الحديث وكشفتم قناع السرّ، فأخّره الله ولم يجعل له بعد ذلك وقتاً عندنا، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) قال أبو حمزة: وقلت ذلك لأبى عبد الله (ع) فقال: (قد كان ذلك). وهنالك رواية عن داود الرقّى قال: قلت لأبى الحسن الرضا (ع) جعلت فداك أنه والله ما يلج فى صدرى من أمرك شىء إلّا حديث سمعته من ذريح يرويه عن أبى جعفر (ع) قال لى: (ما هو) قال سمعته يقول: (سابعنا قائمنا إن شاء الله). قال: (صدقت وصدق ذريح وصدق أبو جعفر (ع)، فازددت والله شكاً، ثم قال لى: (يا داود بن أبى كلدة! أما والله لولا أن موسى قال للعالم [سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ الله صَابِراً] (الكهف/۶۹) ما سأله عن شىء، وكذلك أبو جعفر (ع) لولا أن قال إن شاء الله لكان كما قال: فقطعت عليه). لقد بدأ الرساليون فى ذلك الظرف يتناقلون الكلام، وبلغ الأمر إلى السلطات، إلى درجة أنه شاع وفشى، فاعتقلت مجموعة من الرساليين وسجنت الإمام (ع) وقتلته بعد ذلك [۱۰] . ولقد شاعت فكرة قيام الإمام السابع إلى درجة أن السلطة استخدمتها كورقة إعلامية ضد الحركة الرسالية، بعد أن دسّت السمّ إلى الإمام وقتلته فى غياهب سجون بغداد، كيف؟ إن من المعروف أن القائم لا يموت حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، وها هو الإمام السابع قد فارق الحياة، إذاً هو ليس القائم المنتظر. وهكذا حاولت السلطة إبراز التناقض فى أقوال الحركة الرسالية، حيث نادى أزلام السلطة على نعش الإمام الكاظم (ع) ما يلى: هذا موسى بن جعفر الذى تزعم الرافضة أنه لا يموت، فانظروا إليه فنظروا [۱۱] . والواقع أن (فشل الثورة) أو تأخيرها، واستشهاد الإمام المنتظر لقيادتها، سبّب صدمة عنيفة لبعض أبناء الحركة الرسالية، وكان امتحاناً عسيراً لولا ما ظهر بعدئذ من حكمة ذلك حيث تحول الوضع السياسى لمصلحتهم بعد هارون من دون إراقة الدماء. ولقد استغل بعض أصحاب المصالح الطامعين فى الرئاسة أو المال هذه الصدمة عند السذّج من الناس، وطفقوا يقولون أن موسى بن جعفر (ع) لم يمت، وأنه لا يموت حتى يقوم بالأمر.

ولقد قاوم الإمام على بن موسى الرضا (ع) هذا المذهب الفاسد، حتى اضمحل ولم يعد لهم وجود يذكر. فمثلاً جاء فى الحديث المأثور عن جعفر بن محمد النوفلى قال: أتيت الرضا (ع) وهو بقنطرة أربق [۱۲] ، فسلمت عليه ثم جلست وقلت: جعلت فداك إن أناساً يزعمون أن أباك حيّ، فقال: كذبوا لعنهم الله، لو كان حياً ما قسم ميراثه ولا نكح نساءه، ولكنه والله ذاق الموت كما ذاقه علىّ بن أبى طالب (ع) [۱۳] . وهكذا كانت المواجهة بين السلطة العباسية والحركة الرسالية قد بلغت الذروة، وكان مخطط الثورة الشاملة جاهزاً لولا إذاعة السرّ ومبادرة السلطة باعتقال الإمام موسى الكاظم. وقد سردنا نصوصاً وشواهد تاريخية على ذلك، وهناك المزيد من الشواهد نبينها فيما يلى:

عهد الرشيد: قمة الإرهاب العباسى

بسبب تصاعد المد الرسالى، وازدياد احتمالات سقوط النظام العباسى، مارس هارون الرشيد إرهاباً لا مثيل له فى تاريخ المواجهة بين السلطة العباسية وأئمة آل البيت (ع). لقد كانت التقية – والتى تعنى العمل السرى – على أشدها فى عصر الإمام موسى (ع)، ولعل لقب الإمام الكاظم يشير إلى أن منهج حياته كان التقية، وكظم الغيظ عمّا يصيبه من آلام وضغوط. وسائر ألقابه أيضاً تدل على ميزة عصره، فقد كان شيعته يكنون عنه ب (العبد الصالح) و (النفس الزكية) و (الصابر) وتنوع كناه يدل أيضاً على السرّية التى اتسمت بها الحركة فى عصره، فهو " أبو الحسن " و " أبو على " و " أبو إبراهيم " وقيل أيضاً " أبو إسماعيل ". ولقد بقى سيدنا الإمام موسى (ع) فترة طويلة فى سجون آل عباس، وكانت شهادته أيضاً بصورة مأساوية لا يساويها إلاّ شهادة جده أبى عبد الله الحسين (ع)، وذلك يدل على أن خشيتهم كانت عظيمة من قيامه (ع) ضد ظلمهم وإرهابهم، ذلك لأنه لا أحد من الطغاة كان يفكّر فى تكرار غلطة يزيد بن معاوية فى قتله لسيد الشهداء (ع) بصورة علنية، إنما كانوا يفضلوا اغتيال أئمة آل البيت للتخلص منهم، وللبراءة من دمائهم عند الجماهير المسلمة الذين كانوا يكّنون لآل بيت رسول الله كل ولاء واحترام. حتى الرشيد الذى استشهد الكاظم (ع) فى سجنه، حاول التبرؤ من دمه، والتمويه بانه مات حتف أنفه، أو أن السندى بن شاهك قائد شرطته هو الذى بادر بقتل الإمام دون أمره [۱۴] . ومن هنا نعلم أن السلطة لم تخاطر بقتل سيد أهل البيت، لو لم تشعر بالخوف على مركزها. على أن السلطة قد قتلت – صبراً – الكثير من قيادات البيت العلوى.

محنة البيت العلوى

وهكذا كانت محنة البيت العلوى عظيمة فى تلك الحقبة، حيث أنهم رفضوا التسليم لإرهاب النظام، فزجّ بهم فى السجون الرهيبة، وموورس فى حقهم كل ألوان التعذيب، كما قتل النظام الكثير منهم صبراً. وإن ذلك لدليل على قوة شوكة المعارضة الرسالية وتهديدها للنظام، كما هو دليل على مدى احتمال هذا البيت الطاهر للمآسى والمصائب من أجل رسالات الله، ولم يكن عبثاً تأكيد الرسول (ص) على الإهتمام باهل بيته واعتبارهم ورثته، وجعلهم محور أهل الحق، وإن مثلهم مثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وهلك. وفى القصة التالية بعض تلك المحن العظيمة التى توالت على أهل بيت الرسول من أبناء فاطمة وعلى عليهم السلام. عن عبيد الله البزاز النيسابورى – وكان مسناً – قال: كان بينى وبين حميد بن قحطبة الطائى الطوسى معاملة، فرحلت إليه فى بعض الأيّام، فبلغه خبر قدومى فاستحضرنى للوقت وعلىّ ثياب السفر لم أغيّرها، وذلك فى شهر رمضان وقت صلاة الظهر. فلمّا دخلت إليه رأيته فى بيت يجرى فيه الماء فسلمت عليه وجلست، فأتى بطست وإبريق فغسّل يديه، ثم أمرنى فغسلت يدى واحضرت المائدة وذهب عنى أنّى صائم وأنى فى شهر رمضان، ثمّ ذكرت فأمسكت يدى، فقال لى حميد: مالك لا تأكل؟ فقلت أيها الأمير هذا شهر رمضان، ولست بمريض ولا بى علّة توجب الإفطار، ولعلّ الأمير له عذر فى ذلك أو علّة توجب الإفطار، فقال: ما بى علّة توجب الإفطار وإنّى لصحيح البدن، ثم دمعت عيناه وبكى. فقلت له بعدما فرغ من طعامه: ما يبكيك أيّها الأمير؟ فقال: أنفذ إلىّ هارون

الرشيد وقت كونه بطوس فى بعض الليل أن أجب، فلمّا دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تتقد وسيفاً أخضر مسلولاً وبين يديه خادم واقف، فلما قمت بين يديه رفع رأسه إلىَّ فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال، فأطرق ثم أذن لى فى الانصراف. فلم ألبث فى منزلى حتى عاد الرسول إلىَّ وقال: أجب أمير المؤمنين، فقلت فى نفسى: أنا والله أخاف أن يكون قد عزم على قتلى وأنه لما رآنى استحيى منّى، فعدت إلى بين يديه فرفع رأسه إلىَّ فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد فتبسم ضاحكاً، ثم أذن لى فى الانصراف. فلما دخلت منزلى لم ألبث أن عاد الرسول إلىَّ فقال: أجب أمير المؤمنين فحضرت بين يديه وهو على حاله، فرفع رأسه إلىَّ فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين، فقلت: بالنفس والمال والأهل والولدل والدين فضحك، ثم قال لى: خذ هذا السيف وامتثل ما يامِّرك به هذا الخادم. قال: فتناول الخادم السيف وناولنيه وجاء بى إلى بيت بابه مغلق ففتحه فإذا به بئر فى وسطه، وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة، ففتح باب بيت منها فإذا فيه عشرون نفسا عليهم الشعور والذوائب، شيوخ وكهول وشبّان مقيَّدون، فقال لى: إنَّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، وكانوا كلهم علويّة من ولد على وفاطمة (ع) فجعل يخرج إلىَّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه حتى أتيت على آخرهم، ثم رمى بأجسادهم ورؤوسهم فى تلك البئر. ثم فتح باب بيت آخر فإذا فيه أيضاً عشرون نفسا من العلويّة من ولد على وفاطمة (ع) مقيدون، فقال لى: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، فجعل يخرج إلىَّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه ويرمى به فى تلك البئر، حتى أتيت على آخرهم، ثم فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد على وفاطمة (ع)، مقيدون عليهم الشعور والذوائب فقال لى: إن أمير المؤمنين يأمرك أن تقتل هؤلاء أيضاً فجعل يخرج إلىَّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه فيرمى به فى تلك البئر، حتى أتيت على تسعة عشر نفساً منهم، وبقى شيخ منهم عليه شعر فقال لى: تبّاً لك يا مشؤوم أى عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدنا رسول الله (ص) وقد قتلت من أولاده ستين نفساً، قد ولدهم علىّ وفاطمة (ع)، فارتعشت يدى وارتعدت فرائصى فنظر إلىَّ الخادم مغضباً وزبرنى، فأتيت على ذلك الشيخ أيضاً فقتلته ورمى به فى تلك البئر، فإذا كان فعلى هذا وقد قتلت ستين نفساً من ولد رسول الله (ص) فما ينفعنى صومى وصلاتى وأنا لا أشك أنى مخلد فى النار [۱۵].

محنة العلماء الرساليين

وكانت محنة العلماء الكبار من الموالين لآل البيت عظيمة أيضاً أو ليسوا شيعة آل محمد (ص)؟ فلابد أن يقتدوا بهم فى بلائهم، ومن أعظمهم بلاء محمد بن أبى عمير الأزدى البغدادى وهو فى نفس الوقت من أعظمهم شأناً. وكان من أوثق الناس عند الخاصة والعامة، وأنسكهم نسكاً، وأورعهم وأعبدهم، وحكى عن الجاحظ أنه قال: كان أوحد أهل زمانه فى الأشياء كلها، وقال أيضاً: وكان وجهاً من وجوه الرافضة، حبس أيام الرشيد ليلى القضاء. وقيل بل ليدلّ على الشيعة وأصحاب موسى بن جعفر (ع)، وضرب على ذلك، وكاد يقر لعظيم الألم، فسمع محمد بن يونس بن عبد الرحمن يقول له: إتق الله يا محمد بن أبى عمير فصبر ففرّج الله عنه، وروى الكشى أنه ضرب مائة وعشرين خشبة أيام هارون، وتولى ضربه السندى بن شاهك، وكان ذلك على التشيع، وحبس فلم يفرج عنه، حتى أدى من ماله واحداً وعشرين ألف درهم، وروى أن المأمون حبسه حتى ولاه قضاء بعض البلاد، وروى الشيخ المفيد فى الاختصاص أنه حبس سبع عشرة سنة، وفى مدة حبسه دفنت أخته كتبه فبقيت مدة أربع سنين، فهلكت الكتب، وقيل أنه تركها فى غرفة فسال عليها المطر، لذلك حدّث من حفظه، ومما كان سلف له فى أيدى الناس أدرك أيام الكاظم (ع) ولم يحدث عنه، وأيام الرضا والجواد (ع) وحدّث عنهما، ومات سنة ۲۱۷ [۱۶].

التسلل إلى النظام

اشاره

ولعل أوضح شواهد القوة عند الحركة الرسالية فى عصر الإمام الكاظم (عليه السلام) هو حجم تسلل عناصرها فى أجهزة النظام، والذى يدل على مدى نفوذهم فى مجمل المؤسسات الرسمية، ولعلّ رأس النظام كان على علم وإن بصورة إجمالية بولاء رجاله لآل البيت، لكنه كان عاجزاً عن الانقلاب عليهم لسبب أو لآخر، وقبل أن نورد بعض القصص التاريخية لهذا التسلل، يجدر أن نعلم أن متانة الشبكة التنظيمية التى كانت تتمتع بها الحركة الرسالية التى أوجدت هذا المدى الواسع من العناصر فى مختلف أجهزة النظام الحساسة، لتعتبر نموذجاً لما ينبغى أن تكون عليه التنظيمات الرسالية فى كل مكان. ۱ - يبدو أن بعض رؤساء المحافظات أو حسب تعبيرهم يومئذ (الولاة) كانوا منتمين إلى الحركة، فمثلاً مدينة (الرى) وهى طهران الحالية، كانت من الحواضر العامة فى ذلك اليوم، ومع ذلك كان واليها واحداً من موالى أهل البيت، كما تذكر الرواية التالية من كتاب قضاء حقوق المؤمنين لأبى على بن طاهر الصورى بإسناده عن رجل من أهل الرى قال: ولّى علينا بعض كتاب يحيى بن خالد، وكان علىّ بقايا يطالبنى بها، وخفت من إلزامى إيّاها خروجاً عن نعمتى، وقيل لى: أنه ينتحل هذا المذهب، فخفت أن أمضى إليه فلا يكون كذلك فأقع فيما لا أحب، فاجتمع رأيى على أنى هربت إلى الله تعالى، وحججت ولقيت مولاى الصابر - يعنى موسى بن جعفر (ع) - فشكوت حالى إليه فأصحبنى مكتوباً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم اعلم أن لله تحت عرشه ظِلاً- لا يسكنه إلّا من أسدى إلى أخيه معروفاً أو نفّس عنه كربة، أو أدخل على قلبه سروراً، وهذا أخوك والسلام. قال: فعدت من الحجّ إلى بلدى، ومضيت إلى الرجل ليلاً، واستأذنت عليه وقلت: رسول الصابر (ع) فخرج إلىّ حافياً ماشياً، ففتح لى بابه، وقبّلنى وضمنى إليه، وجعل يقبّل بين عينى، ويكرّر ذلك كلما سألنى عن رؤيته (ع)، وكلما أخبرته بسلامته وصلاح أحواله استبشر وشكر الله، ثمّ أدخلنى داره وصدّرنى فى مجلسه وجلس بين يدى، فأخرجت إليه كتابه (ع) فقبّله قائماً وقرأه ثم استدعى بماله وثيابه، فقاسمنى ديناراً ديناراً، ودرهماً درهماً، وثوباً ثوباً، وأعطانى قيمة ما لم يمكن قسمته، وفى كلّ شىء من ذلك يقول: يا أخى هل سررتك؟ فأقول: أى والله، وزدت على السرور، ثم استدعى العمل فأسقط ما كان باسمى وأعطانى براءة مما يتوجّه علىّ منه، وودّعته، وانصرفت عنه. فقلت: لا أقدر على مكافأة هذا الرّجل إلّا بأن أحج فى قابل وأدعو له وألقى الصّابر (ع) وأعرّفه فعله، ففعلت ولقيت مولاى الصابر (ع) وجعلت أحدّثه ووجهه يتهلّل فرحاً، فقلت: يا مولاى هل سرّك ذلك؟ فقال: أى والله لقد سرنى وسرّ أمير المؤمنين، والله لقد سرّ جدى رسول الله (ص)، ولقد سرّ الله تعالى [۱۷]. ۲ - كان على بن يقطين وزيراً للخليفة وكان يشرف على بلاد واسعة وكان من أقرب المستشارين لهارون الرشيد وفى الوقت ذاته كان من الموالين لأهل البيت (ع) [۱۸] وسنذكر بإذن الله بعض الأحاديث التى تبين لنا مواقف على بن يقطين والتى تكشف أن سياسة التقية أو العمل السرى لم تكن سياسة مرحلية مؤقتة، بل كانت بمثابة استراتيجية عمل بعيدة المدى، فلعل أئمة الهدى رأوا أن تمكين رجالهم من مراكز الحكم بصورة أو بأخرى، أفضل وسيلة لإصلاح أمر الأمة، ولم يجدوا حاجة إلى التغيير السريع فى قمة الهرم السلطوى، وتحمل مسؤوليات الحكم بصورة مباشرة وحتى ولو لم يكن بناء الأمة الحضارى قد بلغ من النضج ما يحتمل نظاماً إلهيّاً، كالذى كان أهل البيت (ع) يريدونه. وبتعبير آخر: إن استراتيجية (التقاطع) مع نظام الحكم وذلك بالسيطرة على مراكزه الهامة، وشل قدرته من الداخل عن المعارضة ربما كانت الاستراتيجية المثلى لتلك الظروف.

قصة الدراعة

فى الوقت الذى كان على بن يقطين مقرباً إلى الرشيد، كان جواسيسه لا- يفتأون يحيطون به وبسائر الوزراء، إذ كان هاجس موالاة وزراءه للإمام الحق موسى بن جعفر (ع) يلاحق الرشيد ليل نهار، إلّا أن العلم الإلهى الذى كان لأئمة آل البيت (ع) منع الرشيد من إثبات أى شىء بحق على بن يقطين، كما أن انضباط على بن يقطين وشدة التزامه بالأوامر القيادية فوّتت على الرشيد فرصاً كثيرة، ومنها ما ذكرت قصة الدرّاعة التى نبيّنها فيما يلى: - روى إبراهيم بن الحسن بن راشد، عن ابن يقطين قال: (كنت واقفاً عند هارون الرشيد إذ جاءته هدايا ملك الروم، وكان فيها درّاعة ديباج سوداء منسوجة بالذهب لم أر أحسن منها، فرآنى أنظر إليها فوهبها لى،

وبعثتها إلى أبى إبراهيم (ع) ومضت عليها برهة تسعة أشهر وانصرفت يوماً من عند هارون بعد أن تغدّيت بين يديه، فلمّا دخلت دارى قام إلىّ خادمى الذى يأخذ ثيابى بمنديل على يده وكتاب لطيف ختمه رطب، فقال: أتانى بهذا رجل الساعة فقال: أوصله إلى مولاك ساعة يدخل، ففضضتُ الكتاب وإذ به كتاب مولاى أبى إبراهيم (ع) وفيه: يا على هذا وقت حاجتك إلى الدرّاعة وقد بعثت بها إليك، فكشفت طرف المنديل عنها ورأيتها وعرفتها، ودخل علىّ خادم هارون بغير إذن فقال: أجب أمير المؤمنين. قلت: أىَّ شىء حدث؟ قال لا أدرى. فركبت ودخلت عليه، وعنده عمر بن بزيع واقفاً بين يديه فقال: ما فعلت بالدرّاعة الّتى وهبتك، قلت: خلع أمير المؤمنين علىّ كثير من دراريع وغيرها فعن أيّها يسألنى؟ قال: درّاعة الديباج السوداء الرّومية المذهّبة، فقلت: ما عسى أن أصنع بها ألبسها فى أوقات وأصلّى فيها ركعات، وقد كنت دعوت بها عند منصرفى من دار أمير المؤمنين السّاعة لألبسها، فنظر إلى عمر بن بزيع فقال: قل يحُضرها، فأرسلت خادمى جاء بها، فلمّا رآها قال: يا عمر ما ينبغى أن تنقل على علىّ بعد هذا شيئاً، قال: فأمر لى بخمسين ألف درهم حملت مع الدرّاعة إلى دارى، قال علىّ بن يقطين: وكان السّاعى ابن عم لى فسوَّد الله وجهه وكذَّبه والحمد لله) [۱۹] .

سرية الاتصالات

كيف كان يتم الاتصال بين الإمام وبين شيعته المتخفّين من أمثال على بن يقطين؟ نحن لا نعرف مزيداً من التفاصيل حول طبيعة الاتصالات، إلاّ أن الباحث باستطاعته أن يتعرف على القضايا من خلال بعض الأخبار المتناثرة، فالخبير الزراعى يتعرف على طبيعة التربة والماء والهواء والبذر والسماد و. و.. من خلال ثمرة واحدة من شجرة التفاح مثلاً، وهكذا المؤرخ بإمكانه أن يتعرف على المزيد من التفاصيل من خلال التفكر فى أبعاد حادثة تاريخية تروى. وهكذا الحادثة الثانية تبين أبعاد الاتصالات السرية التى كانت تتم بين أئمة الهدى وشيعتهم. عن محمد بن مسعود، عن الحسين بن شكيب، عن بكر بن صالح، عن إسماعيل بن عباد القصرى، عن إسماعيل بن سلام وفلان بن حميد، قالا: (بعث إلينا على بن يقطين فقال: اشتريا راحلتين، وتجنبا الطريق - ودفع إلينا أموالاً وكتباً - حتى توصلا ما معكما من المال والكتب إلى أبى الحسن موسى (ع) ولا يعلم بكما أحد، قال: فأتينا الكوفة واشترينا راحلتين وتزوّدنا زاداً، وخرجنا نتجنب الطريق، حتى إذا صرنا ببطن الرمة شددنا راحلتنا، ووضعنا لها العلف، وقعدنا نأكل، فبينما نحن كذلك، إذ راكب قد أقبل ومعه شاكرى، فلما قرب منَّا فإذا هو أبو الحسن موسى (ع)، فقمنا وسلّمنا عليه، ودفعنا إليه الكتب وما كان معنا، فأخرج من كمّه كتباً فناولنا إيّاها فقال: هذه جوابات كتبكم. قال: فقلنا: إنّ زادنا قد فنى فلو أذنت لنا فدخلنا المدينة، فزرنا رسول الله وتزوّدنا زاداً فقال: هاتا ما معكما من الزّاد، فأخرجنا الزّاد إليه فقلّبه بيده فقال: هذا يبلّغكما إلى الكوفة، وأما رسول الله (ص) فقد رأيتماه، إنى صليت معهم الفجر، وإنّى أريد ان أصلى معهم الظهر، انصرفا فى حفظ الله) [۲۰] .

التقية حتى فى كيفية الوضوء

وفشلت محاولات الوشاة ورجال مباحث النظام فى كشف حقيقة على بن يقطين، فقام الرشيد بنفسه بعملية التجسس عليه، فكانت عاقبته الفشل أيضاً كما فى الخبر التالى: - روى محمد بن إسماعيل، عن محمد بن الفضل قال: (اختلفت الرواية بين أصحابنا فى مسح الرجلين فى الوضوء هو من الأصابع إلى الكعبين؟ أم من الكعبين إلى الأصابع؟ فكتب على بن يقطين إلى أبى الحسن موسى (ع) أن أصحابنا قد اختلفوا فى مسح الرجلين، فإن رأيت أن تكتب إلىّ بخطك ما يكون عملى عليه فعلت إن شاء الله، فكتب إليه أبو الحسن (ع): فهمتُ ما ذكرتَ من الاختلاف فى الوضوء والذى آمرك به فى ذلك فأن تتمضمض ثلاثاً وتستنشق ثلاثاً، وتغسل وجهك ثلاثاً، وتخلل شعرلحيتك وتمسح رأسك كله، وتمسح ظاهر أذنيك. وباطنها، وتغسل رجليك إلى الكعبين ثلاثاً ولا تخالف ذلك إلى غيره. فلما وصل الكتاب إلى علىّ بن يقطين تعجب بما رسم فيه، ممّا أجمع العصابة على خلافه، ثم قال: مولاى أعلم بما قال وأنا ممتثل أمره، وكان يعمل فى وضوئه على هذا الحدّ، ويخالف ما عليه جميع الشيعة امتثالاً لأمر أبى الحسن (ع)، وسعى بعلىّ بن يقطين

إلى الرشيد، وقيل له: إنه رافضى مخالف لك. فقال الرشيد لبعض خاصّته: قد كثر عندى القول فى علىّ بن يقطين والقذف له بخلافنا وميله إلى الرفض ولست أرى فى خدمته لى تقصيراً، وقد امتحنته مراراً فما ظَهَرْتُ منه على ما يُقذف به، وأحبّ أن استبرئ أمره من حيث لا يشعر بذلك فيتحرز منّى. فقيل له: إنّ الرّافضة يا أمير المؤمنين تخالف الجماعة فى الوضوء فتخفّفه ولا ترى غسل الرّجلين فامتحنه يا أمير المؤمنين من حيث لا يعلم، بالوقوف على وضوئه، فقال: أجل إنّ هذا الوجه يظهر به أمره، ثم تركه مدّة وناطه بشىء من الشغل فى الدّار، حتّى دخل وقت الصلاة، وكان على بن يقطين يخلو فى حجرة فى الدار لوضوئه وصلاته، فلمّا دخل وقت الصلاة وقف الرّشيد من وراء حائط الحجرة بحيث يرى علىّ بن يقطين، ولا يراه هو، فدعا بالماء للوضوء، فتمضمض ثلاثاً، واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، وخلّل شعر لحيته، وغسل يديه إلى المرفقين ثلاثاً، ومسح رأسه وأذنيه، وغسل رجليه والرشيد ينظر إليه. فلما رأه وقد فعل ذلك ولم يملك نفسه حتّى أشرف عليه بحيث يراه، ثمّ ناداه: كذب يا على بن يقطين من زعم أنّك من الرافضة، وصلحت حاله عنده، وورد عليه كتاب أبى الحسن (ع): ابتداءً من الآن يا على بن يقطين فتوضّأ كما أمر الله، واغسل وجهك مرة فريضة، وأخرى إسباغاً، واغسل يديك من المرفقين كذلك وامسح مقدم رأسك وظاهر قدميك بنداوة وضوئك، فقد زال ما كان يخاف عليك والسلام) [۲۱] . ۳ - كان المسيّب نائب رئيس شرطة النظام سندى بن شاهك، وكان موكلاً بسجن الإمام (ع)، وكان يوالى الإمام (ع) كما يظهر من بعض التواريخ، وكان يتصل بالشيعة ويأمرهم بما يوصيه الإمام، والواقع أن كثير ممن سجن الإمام عندهم قالوا بولايته لما شاهدوا منه من المعاجز، فهذا بشّار مولى السندى بن شاهك يقول: (كنت من أشد الناس بغضاً لآل أبى طالب (ع)، فدعانى السندى بن شاهك يوماً فقال لى: يا بشار إنّى أريد أن أئتمنك على ما ائتمننى عليه هارون، قلت: إذن لا أبقى فيه غايةً، فقال: هذا موسى بن جعفر قد دفعه إلّى وقد وكّلتك بحفظه، فجعله فى دار دون حرمه ووكّلنى عليه، فكنت أقفل عليه عدّة أقفال، فإذا مضيت فى حاجة وكّلت امرأتى بالباب فلا تفارقه حتّى أرجع. قال بشّار: فحوّل الله ما كان فى قلبى من البغض حبّاً، قال: فدعانى (ع) يوماً فقال: يا بشّار امضِ إلى سجن القنطرة فادع لى هند بن الحجاج وقل له: أبو الحسن يأمرك بالمصير إليه، فإنّه سينهرك ويصيح عليك، فإذا فعل ذلك، فقل له: أنا قد قلت لك وابلغت رسالته، فإن شئت فافعل ما أمرنى، وإن شئت فلا تفعل، واتركه وانصرف، قال: ففعلت ما أمرنى وأقفلت الأبواب كما كنت أقفل وأقعدت امرأتى على الباب وقلت لها: لا تبرحى حتّى آتيك. وقصدت إلى سجن القنطرة فدخلت إلى هند بن الحجّاج، فقلت: أبو الحسن يأمرك بالمصير إليه، قال: فصاح علىّ وانتهرنى فقلت له: أنا قد أبلغتك وقلت لك، فإن شئت فافعل وإن شئت فلا تفعل، وانصرفت وتركته وجئت إلى أبى الحسن (ع) فوجدت امرأتى قاعدة على الباب والأبواب مغلقة، فلم أزل أفتح واحداً منها حتى انتهيت إليه فوجدته وأعلمته الخبر، فقال: نعم قد جائنى وانصرف، فخرجت إلى امرأتى فقلت لها: جاء أحد بعدى فدخل هذا الباب؟ فقالت: لا والله ما فارقت الباب ولا فتحت الأقفال حتى جئت) [۲۲] .

معاجز الإمام وعلمه

معاجز الإمام الكاظم

هناك فرق كبير بين فكرة الغلو المرفوضة عند المسلمين بشدة، وبين الإعتقاد بكرامة أولياء الله، واستجابة الله دعائهم، ونظرهم بنور الله إلى الحقائق. ذلك أن فكرة الغلو تسمو بالشخص إلى درجة الألوهية وترى أن الرب سبحانه وتعالى يحل فى عباده، حتى يصبح العبد هو الرب بروحه، وتكون قدراته آنئذٍ ذاتية. بينما الإعتقاد بالإعجاز لدى أولياء الله يعكس التوحيد الخالص حيث يرفض أى تحول ذاتى فى شخص النبى أو الإمام أو الولى، إنما يعنى تفضيل الله لعباده المخلصين، وإكرامهم بالعلم أو القدرة. وفى الوقت الذى نجد الآيات القرآنية تقدس الله وتسبّحه وتذكرنا باستحالة حلوله فى شىء أو شخص وتندد بعقائد الشرك، فى ذات الوقت تذْكر لنا معاجز الأنبياء (ع) التى دلّت على كرامتهم عند الله، حيث أجرى الله على أيديهم تلك المعاجز فيقول الله سبحانه فى شأن عيسى ابن مريم

(ع): [وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ الله وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ الله وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] (آل عمران/۴۹) إن تكرار كلمة (بإذن الله) يدلل على أن تلك المعاجز لا تعنى حلولاً إلهياً فى شخص عيسى ليجعله ابناً لله سبحانه وتعالى عما يقوله المشركون، بل على أن الله يهب لعبده ما يشاء وكيف يشاء ومتى يشاء. وهكذا كانت عقيدة المسلمين فى الأئمة (ع) والأولياء بأن الله قد أكرمهم بالعلم والقدرة، وهذا من صميم عقيدة التوحيد، أوليس الله بقادر على أن يكفى عبده وينصره ويطلعه على غيبه إذا ارتضاه؟ ولِمَ لا ـ يفعل الرب بعبده المطيع له المخلص فى العبادة مثل ذلك؟ أوليس الله يحب التوّابين ويحب المتطّهرين ويحب المتوكّلين، ويحب من يطيعه، ويجزى من يعبده، ويجزى المتصدقين، ويجزى المحسنين، ويكرم المتقين، ويسلّم ويصلى على عباده الصابرين؟ كما نقرأ فى أكثر سور القرآن الكريم. إن من لا ـ يعتقد بالتأييد الإلهى لعباده الصالحين وفى طليعتهم الأئمة المعصومين (ع)، ويثير الشكوك حول معاجزهم، يكاد يكفر بروح القرآن وباطنه ومحتواه وأعظم معانيه. إن لبّ رسالات الله هو الإعتقاد بأن الله مهيمن على عرش القدرة، ويفعل ما يشاء وأنه لا يفعل إلّا بحكمة بالغة، وخلاصة الحكمة جزاء من أحسن وعقاب من أساء، فإذا كان سواء عنده من أحسن ومن أساء وكان لا ينصر عباده المؤمنين ولا يخذل الكفار والمنافقين، فما هى فائدة الإيمان بقدرته وحكمته و. و.. وهكذا كان الإمام موسى بن جعفر حليف القرآن، وأعبد الناس للرب فى عصره، وأعظم المطيعين للخالق، كان له من المعاجز والكرامات ما اعترف بها المسلمون جميعاً، ولا يسعنا أن نذكر فيما يلى إلّا قليلاً منها [۲۳] . ۱ - لقد أنقذ الله سبحانه عبده الصالح موسى بن جعفر (ع) من طغاة عصره بفضل توكله عليه وتبتله إليه، وكذلك ينجى الله المؤمنين. جاء فى الحديث عن عبيد الله بن صالح قال: حدثنى حاجب الفضل بن الربيع عن الفضل بن ربيع قال: كنت ذات ليلة فى فراشى مع بعض جوارىّ فلما كان فى نصف الليل سمعت حركة باب المقصورة فراعنى ذلك فقالت الجارية: لعل هذا من الريح، فلم يمض إلّا يسير حتى رأيت باب البيت الذى كنت فيه قد فتح، وإذا مسرور الكبير قد دخل علىّ فقال لى: أجب الأمير، ولم يسلّم علىّ. فيئست من نفسى وقلت: هذا مسرور، دخل إلىّ بلا ـ إذن ولم يسلم، ما هو إلّا القتل، وكنت جنباً فلم أجسر أن أسأله إنظارى حتى أغتسل، فقالت لى الجارية: لما رأت تحيّرى وتبلّدى: ثق بالله عزّ وجلّ وانهض، فنهضت، ولبست ثيابى، وخرجت معه حتى أتيت الدار، فسلمت على أمير المؤمنين وهو فى مرقده فرد علىَّ السلام فسقطت فقال: تداخلك رعب.؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فتركنى ساعة حتى سكنت ثم قال لى: صر إلى حبسنا فأخرج موسى بن جعفر بن محمد وادفع إليه ثلاثين ألف درهم، واخلع عليه خمس خلع، واحمله على ثلاث مراكب، وخيره بين المقام معنا أو الرحيل عنا إلى أىّ بلد أراد وأحب. فقلت: يا أمير المؤمنين تأمر بإطلاق موسى بن جعفر؟ قال: نعم فكرّرت ذلك عليه ثلاث مرات، فقال لى: نعم ويلك أتريد ان أنكث العهد؟ فقلت: يا أمير المؤمنين وما العهد؟ قال: بينا أنا فى مرقدى هذا إذ ساورنى أسود ما رأيت من السودان أعظم منه فقعد على صدرى وقبض على حلقى وقال لى: حبست موسى بن جعفر ظالماً له؟ فقلت: فأنا أطلقه وأهب له، وأخلع عليه، فأخذ علىّ عهد الله عزّ وجلّ وميثاقه، وقام عن صدرى، وقد كادت نفسى تخرج. فخرجت من عنده ووافيت موسى بن جعفر (ع) وهو فى حبسه، فرأيته قائماً يصلى فجلست حتى سلم، ثم أبلغته سلام أمير المؤمنين، وأعلمته بالذى أمرنى به فى أمره، وأنى قد أحضرت ما وصله به، قال: إن كنت أمرت بشىء غير هذا فافعله؟ فقلت: لا وحق جدّك رسول الله ما أمرت إلّا بهذا، فقال: لا حاجة لى فى الخلع والحملان والمال إذ كانت فيه حقوق الأمة فقلت: ناشدتك بالله أن لا ترده فيغتاظ، فقال: إعمل به ما أحببت، وأخذت بيده (ع) وأخرجته من السجن. ثم قلت له: يابن رسول الله أخبرنى بالسبب الذى نلت به هذه الكرامة من هذا الرجل، فقد وجب حقى عليك لبشارتى إياك، ولما أجراه الله عزّ وجلّ على يدى من هذا الأمر، فقال (ع): رأيت النبى (ص) ليلة الأربعاء فى النوم فقال لى: يا موسى أنت محبوس مظلوم؟ فقلت: نعم يا رسول الله محبوس مظلوم، فكرر علىَّ ذلك ثلاثاً ثم قال: [وإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ] (الانبياء/۱۱۱) أصبح غداً صائماً وأتبعه بصيام الخميس والجمعة، فإذا كان وقت الإفطار فصلّ اثنتى عشر ركعة تقرأ فى كلّ ركعة الحمد واثنتى عشرة مرة قل هو الله أحد، فإذا صلّيت منها أربع ركعات فاسجد ثم قل: يا سابق

الفوت يا سامع كلّ صوت يا محيى العظام وهى رميم بعد الموت، أسألك باسمك العظيم الأعظم أن تصلى على محمد عبدك ورسولك وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وأن تعجل لى الفرج مما أنا فيه " ففعلت فكان الذى رأيت [۲۴] . ۲ - وقد دعا سيدنا الكاظم (ع) لإنقاذ بعض المؤمنين من شيعته من ظلم الطاغية ن فاستجاب الله دعاءه حيث جاء فى التاريخ عن صالح بن واقد الطبرى قال: دخلت على موسى بن جعفر فقال: يا صالح إنه يدعوك الطاغية يعنى هارون فيحبسك فى محبسه ويسألك عنى فقل إنى لا أعرفه، فإذا صرت إلى محبسه فقل من أردت أن تخرجه فأخرجه بإذن الله تعالى، فدعانى هارون من طبرستان فقال: ما فعل موسى بن جعفر فقد بلغنى أنه كان عندك؟ فقلت: ما يدرينى من موسى بن جعفر؟ أنت يا أمير المؤمنين أعرف به وبمكانه، فقال: اذهبوا به إلى الحبس، فوالله إنى لفى بعض اللّيالى قاعد وأهل الحبس نيام إذ أنا به يقول: يا صالح، قلت: لبيك قال: صرت إلى ههنا؟ فقلت: نعم يا سيدى، قال: قم فاخرج واتبعنى، فقمت وخرجت، فلما صرنا إلى بعض الطريق قال: صالح يا رسول الله محبوس مظلوم فكرر علىّ ذلك ثلاثاً، ثم قال: السلطان سلطاننا كرامة من الله أعطاناها، قلت: يا سيدى فأين أحتجز من هذا الطاغية؟ قال: عليك ببلادك فارجع إليها فإنه لن يصل إليك، قال صالح: فرجعت إلى طبرستان، فوالله ما سأل ولا أدرى أحبسنى أم لا [۲۵] . ۳ - وكان يؤدب شيعته على التقوى، ويعطيه الرب نوراً يعلم به خباياهم، فقد جاء فى الحديث عن عبد الله بن القاسم بن الحارث البطل، عن مرازم قال: (دخلت المدينة فرأيت جارية فى الدار التى نزلتها فعجبتنى فأردت أن أتمتع منها فأبت أن تزوجنى نفسها، فجئت بعد العتمة فقرعت الباب فكانت هى التى فتحت لى، فوضعت يدى على صدرها فبادرتنى حتى دخلت، فلما أصبحت دخلت على أبى الحسن (ع) فقال: يا مرازم ليس من شيعتنا من خلا- ثم لم يرع قلبه) [۲۶] . ۴ - وينتفع بعلمه الإلهى فى سبيل تربية شيعته على الانضباط، باعتباره ضرورة قصوى فى سائر حقول الحياة، وبالذات حقل الجهاد، جاء فى الآثار: عن محمد بن الحسين بن على عن حسان الواسطى، عن موسى بن بكر قال: (دفع إلىّ أبو الحسن الأول (ع) رقعة فيها حوائج وقال لى: إعمل بما فيها، فوضعتها تحت المصلّى، وتوانيت عنها، فمررت فإذا الرقعة فى يده، فسألنى عن الرقعة فقلت: فى البيت، فقال: يا موسى إذا أمرتك بالشيء فاعمله وإلاّ غضبت عليك [۲۷] . ۵ - وربما اقتضى الأمر الإعجاز بهدف تأديب الشيعة على التواضع للحق، والإبتعاد عن الكبر والتعالى للارتفاع بهم إلى مستوى (حزب الله) الذين لا- يتمايزون عن بعضهم بما يملكون من مال أو علم أو منصب، دعنا نقرأ معاً قصة على بن يقطين، وهو وزير فى سلطان الطغاة، وبحكم منصبه ربما أخذه الغرور وتعالى على سائر المؤمنين، لننظر كيف يؤدبه الإمام، ويستخدم قدرته الإلهية لتربية روح التقوى فيه. عن محمد بن على الصوفى قال: (استأذن إبراهيم الجمّال رضى الله عنه على أبى الحسن على بن يقطين الوزير فحجبه، فحج على بن يقطين فى تلك السَّنة فاستأذن بالمدينة على مولانا موسى بن جعفر فحجبه، فرآه ثانى يومه فقال على بن يقطين: سيدى ما ذنبى؟ فقال: حجبتك لأنك حجبت أخاك إبراهيم الجمال، وقد أبى الله أن يشكر سعيك أو يغفر لك حجب إبراهيم الجمّال، فقلت: يا سيدى ومولاى من لى بإبراهيم الجمّال فى هذا الوقت وأنا بالمدينة وهو بالكوفة؟ فقال: إذا كان الليل فامض إلى البقيع وحدك من غير أن يعلم بك أحد من أصحابك وغلمانك واركب نجيباً هناك مسرجاً، قال: فوافى البقيع وركب النجيب ولم يلبث أن أناخه على باب إبراهيم الجمّال بالكوفة، فقرع الباب وقال: أنا على بن يقطين. فقال إبراهيم الجمّال من داخل الدار: وما يعمل على بن يقطين الوزير ببابى؟! فقال على بن يقطين: يا هذا إن أمرى عظيم، وآلى عليه أن يأذن له، فلما دخل قال: يا إبراهيم إن المولى (ع) أبى أن يقبلنى أو تغفر لى، فقال: يغفر الله لك فآلى على بن يقطين على إبراهيم الجمّال أن يطأ خده فامتنع ابراهيم من ذلك، فآلى عليه ثانياً ففعل، فلم يزل ابراهيم يطأ خده، وعلى بن يقطين يقول: اللهم اشهد، ثم انصرف وركب النجيب وأناخه من ليلته بباب المولى موسى بن جعفر (ع) بالمدينة، فأذن له ودخل عليه فقبله) [۲۸] . ۶ - باعتباره قائد المسلمين، وخليفة رسول الله (ص) الذى تحلّى بمكارم الخلق المحمدى، فإنه كان رحيماً بالمؤمنين عزيزاً عليه ما عندتم. وكثيراً ما كان ينظر بنور الله فيرى الضر الّذى قد يلحق بهم فيبادر برفعه عنهم بطريقة أو باخرى حتى ولو كان من النوع الفردى أو الجزئى، دعنا نقرأ معاً القصة التالية: عن إبراهيم بن عبد الحميد قال: (كتب إلىّ أبو الحسن (ع) - قال عثمان بن عيسى وكنت حاضراً بالمدينة -: تحوّل عن منزلك، فاغتمَّ بذلك، وكان منزله منزلاً وسطاً

بين المسجد والسوق، فلم يتحوّل، فعاد إليه الرسول: تحوّل عن منزلك، فبقى، ثم عاد إليه الثالثة: تحوّل عن منزلك، فذهب وطلب منزلاً وكنت فى المسجد، ولم يجىء إلى المسجد إلّا عتمة فقلت له: ما خلّفك؟ فقال: ما تدرى ما أصابنى اليوم؟ قلت: لا، قال: ذهبت أستقى الماء من البر لأتوضأ فخرج الدلو مملوءاً خرءاً وقد عجّنا خبزنا بذلك الماء، فطرحنا خبزنا وغسلنا ثيابنا، فشغلنى عن المجىء، ونقلت متاعى إلى البيت الذى أكتريته، فليس بالمنزل إلّا الجارية، الساعة أنصرف وآخذ بيدها، فقلت: بارك الله لك، ثم افترقنا، فلمّا كان سحراً خرجنا إلى المسجد فقال: ما ترون ما حدث فى هذه الليلة؟ قلت: لا " قال: سقط والله منزلى، السفلى والعليا) [۲۹] . هكذا قدم الإمام نصيحته لشيعته فى مسألة حياتية جزئية ولكنها هامة بالنسبة إلى الفرد المؤمن صاحب المسألة، وفى واقعة أخرى نجد الإمام ينصح الفرد فى مسألة تجارية تبدو هى الأخرى جزئية ولكنها تكشف عن حقيقة الإهتمام بامور المسلمين، والواقعة رويت هكذا: عن الحسن بن على بن النعمان، عن عثمان بن عيسى قال: (أبو الحسن (ع) لإبراهيم بن عبد الحميد، ولقيه سحراً وإبراهيم ذاهب إلى قبا، وأبو الحسن (ع) داخل إلى المدينة فقال: يا إبراهيم فقلت: لبيك، قال: إلى أين؟ قلت: إلى قبا، فقال: فى أى شىء؟ فقلت: إنَّا كنا نشترى فى كل سنة هذا التمر فأردت أن آتى رجلا من الأنصار فأشترى منه من الثمار، فقال: وقد أمنتم الجراد، ثم دخل ومضيت أنا فأخبرت أبا العز، فقال: لا والله لا أشترى العام نخلة، فما مرت بنا خامسة، حتى بعث الله جراداً فأكل عامة مافى النخل) [۳۰] .

علم الإمامة

إن قاعدة الرسالات الإلهية قائمة على أساس الإيمان بالغيب، وأبرز مظاهر الغيب هو العلم به من قبل عباد الله المقربين، أوليس ذات الكتاب الذى يوحى إلى النبى - أىّ نبى - ويؤمر الناس باتباعه من الغيب؟ كيف علّم الله رسوله النبى الأمى كل تلك الرسالة العظيمة وذلك الكتاب الكريم، الذى تحدّى العالمين أن يأتوا بمثل بعض سوره أو آياته. إننا نقرأ فى الكتاب حجة عيسى ابن مريم على قومه أن ينبئهم بما يدّخرون فى بيوتهم. وهكذا يكون علم الإمام الإلهى الذى تجاوز حدود علم الناس دليلاً على أنه مؤيد بالله، وأنه الإمام، والحجة على الناس أجمعين. كيف يكون هذا العلم؟ هل يكون عبر توارث الحديث عن رسول الله عن جبرائيل عن الله، أم عبر نكت فى القلوب ونقرٍ فى الأسماع، أو عبر عمود من نور ينظر إليه الإمام متى شاء الله أن يعلم شيئاً فيعلم، أم بنزول الروح - وهو أعظم من الملائكة - عليه ليلة القدر؟! الصحيح أن كل ذلك وربما غير ذلك مما لا نعلم من سبل العلم الإلهى يكون طريق علم الإمام، ولم نكلف نحن بمعرفة تفاصيل ذلك، إنما يكفينا أن الإمام يعلم - بإذن الله - بما يجهله الناس، وبذلك يفضّل عليهم، ولا بدّ أن يكون مطاعاً فيهم بإذن الله. جاء فى حديث شريف عن أبى عبد الله الصادق (ع): " فال قلت: أخبرنى عن علم عالمكم؟ قال: وراثة من رسول الله (ص) ومن على بن أبى طالب (ع)، فقلت: إنَّا نتحدث أنه يقذف فى قلبه أو ينكث فى إذنه، فقال: أو ذاك " [۳۱] . أى لعله يكون ذلك. والإمام الكاظم نطق بعلم الرسالة فى كافة الحقول، ويكفيك وصيته لهشام التى تعتبر خلاصة حكم الأنبياء، وزبدة رؤى الرسالات، وما نذكره فيما يلى رشح من بحر علمه الزاخر: ۱ - روى أن إسحاق بن عمار قال: (لما حبس هارون أبا الحسن موسى (ع) دخل عليه أبو يوسف، ومحمد بن الحسن، صاحبا أبى حنيفة فقال أحدهما للآخر: نحن على أحد الأمرين، إما أن نساويه أو نشكله، فجلسا بين يديه، فجاء رجل كان موكلاً من قبل السندى بن شاهك، فقال: إن نوبتى قد انقضت وأنا على الإنصراف فإن كان لك حاجة أمرتنى حتى آتيك بها فى الوقت الذى تخلفنى النوبة؟ فقال: مالى حاجة، فلما أن خرج قال لأبى يوسف: (ما أعجب هذا يسألنى أن أكلفه حاجة من حوائجى ليرجع وهو ميت فى هذه الليلة). فقاما فقال أحدهما للآخر: إنا جئنا لنسأله عن الفرض والسنَّة وهو الآن جاء بشىء آخر كأنه من علم الغيب. ثم بعثا برجل مع الرجل فقالا: إذهب حتى تلزمه وتنظر ما يكون من أمره فى هذه الليلة وتأتينا بخبره من الغد، فمضى الرجل فنام فى مسجد فى باب داره، فلما أصبح سمع الواعية ورأى الناس يدخلون داره فقال: ما هذا؟ قالوا قد مات فلان فى هذه الليلة فجأة من غير علة، فانصرف إلى أبى يوسف ومحمد واخبرهما الخبر، فأتيا أبا الحسن (ع) فقالا: قد علمنا أنك أدركت العلم فى الحلال والحرام فمن أين أدركت أمر هذا الرجل الموكل بك أنه يموت فى هذه الليلة؟ قال: (من الباب

الـذى أخبر بعلمه رسول الله (ص) على بن أبى طـالب (ع)). فلمّا ردّ عليهما هـذا بقيا لا يحيران جواباً) [۳۲] . هكذا أوتى الإمام موسى بن جعفر (ع) علم المنايـا كمـا أوتى ذلك من قبل أنبياء الله وأوليائه الكرام. ۲ - وكـذلك أوتى علم منطق الناس بإذن الله تعالى، فقد جاء فى الحـديث عن ابن أبى حمزة قال: (كنت عند أبى الحسن موسـى (ع) إذ دخل عليه ثلاثون مملوكاً من الحبشة اشتروا له، فتكلم غلام منهم فكان جميلاً بكلام فأجابه موسـى (ع) بلغته، فتعجب الغلام وتعجبوا جميعاً وظنوا أنه لا يفهم كلامهم، فقال له موسـى: إنى لأدفع إليك مالاً فادفع إلى كل منهم ثلاثين درهماً، فخرجوا وبعضـهم يقول لبعض: إنه أفصـح منا بلغاتنا، وهذه نعمة من الله علينا. قال على بن أبى حمزة: فلمـا خرجوا قلت: يـابن رسول الله رأيتك تكلم هؤلاء الحبشـيين بلغاتهم؟! قال: نعم، قال: وأمرت ذلك الغلام من بينهم بشـىء دونهم؟ قال: نعم أمرته أن يستوصـى بأصحابه خيراً، وأن يعطى كل واحد منهم فى كل شهر ثلاثين درهماً، لأنه لما تكلم كـان أعلمهم فـإنه من أبنـاء ملوكهم، فجعلته عليهم وأوصـيته بمـا يحتاجون إليه، وهو مع هـذا غلام صـدق، ثم قال: لعلك عجبت من كلامى إياهم بالحبشة؟ قلت: إى والله قال: (لا تعجب فما خفى عليك من امرى أعجب وأعجب، وما الذى سـمعته منى إلّا كطائر أخذ بمنقـاره من البحر قطرة، أفترى هـذا الـذى يأخـذه بمنقـاره ينقص من البحر؟! والإمـام بمنزلـة البحر لا ينفـذ ما عنـده وعجائبه أكثر من عجائب البحر) [۳۳] . ۳ - وجـاء فى حـديث آخر يرويه على بن حمزة قال: (أرسـلنى أبو الحسن (ع) إلى رجل قـدّامه طبق يبيع بفلس فلس وقال: أعطه هـذه الثمانيـة عشـر درهماً وقل له: يقول لك أبو الحسن: انتفع بهـذه الدراهم فإنها تكفيك حتى تموت، فلما أعطيته بكى، فقلت: وما يبكيك؟ قال: ولم لا أبكى وقد نعيت إلىّ نفسـى، فقلت: وما عند الله خير مما أنت فيه، فسـكت وقال: من أنت يا عبد الله؟ فقلت على بن أبى حمزة، قـال: والله لهكـذا قـال لى سـيدى ومولاـى أنى بـاعث إليـك مع على بن أبى حمزة برسـالتى، قال على: فلبثت نحواً من عشـرين ليلـة ثم أتيت إليه وهو مريض فقلت: أوصـنى بما أحببت أنفذه من مالى، قال: إذا أنا متّ فزوج ابنتى من رجل دين، ثم بع دارى وادفع ثمنها إلى أبى الحسن، واشـهد لى بالغسل والدفن والصـلاة. قال: فلما دفنته زوّجت ابنته من رجل مؤمن وبعت داره وأتيت بثمنها إلى أبى الحسن (ع) فزكاه وترحم عليه وقال: رد هذه الدراهم فادفعها إلى ابنته) [۳۴] . ۴ - وإذا كان علم الأئمة من الله، فإن الله سـبحانه لا يعجزه شىء فى السماوات والأرض، وقد تقضى حكمته أن يجعل علمه عند صبى فى المهد، كما فعل بالمسيح عيسـى ابن مريم ويحيى بن زكريـا (ع)، وهكـذا أظهر قـدرته فى شـخص الإمـام الكاظم (ع) حيث جاء فى حـديث شـريف مأثور عن عيسـى شـلقان قال: (دخلت على أبى عبد الله (ع) وأنا أريد أن أسأله عن أبى الخطاب فقال لى مبتدئاً من قبل أن أجلس: ما منعك أن تلقى ابنى موسـى فتسأله عن جميع ما تريـد؟ قال عيسـى: فـذهبت إلى العبد الصالح (ع) وهو قاعد فى الكتّاب وعلى شـفتيه أثر المداد فقال لى مبتـدئاً: يا عيسـى إن الله أخـذ ميثاق النبيين على النبوة فلم يتحوّلوا عنها، وأخـذ ميثاق الوصـيين على الوصـية فلم يتحولوا عنها أبـداً، وإن قوماً إيمانهم عارية، وإن أبا الخطاب ممن أعير الإيمان فسـلبه الله إياه، فضـممته إلىّ وقبلت ما بين عينيه وقلت: ذرية بعضـها من بعض. ثم رجعت إلى الصـادق (ع) فقال: ما صـنعت؟ قلت: أتيته فأخبرنى مبتـدئاً من غير أن أسأله عن جميع ما اردت، فعلمت عند ذلك أنه صاحب هـذا الأمر، فقال: يا عيسـى إن ابنى هـذا الذى رأيت لو سألته عما بين دفتى المصـحف، لأجابك فيه بعلم ثم اخرجه ذلـك اليوم من الكتاب) [۳۵] . ۵ - حينما يسـقط الحجاب بين الرب وعبـده، وحينما يبلغ الصـفاء الروحى والمعرفة الإلهية القمة، فإن الـدنيا تاتى مطيعـة للعبـد الصالـح، كما قال الله فى الحـديث القدسـى: " عبـدى، أطعنى تكن مِثلى (أو مَثَلى) أقول للشـىء كن فيكون وتقول للشـىء كن فيكون ". هكـذا يروى لنا شـقيق البلخى جانباً من الكرامة التى خصـها الله تعالى لإمامنا السابع موسـى بن جعفر (ع) فيقول: (خرجت حاجّاً فى سنة تسع وأربعين ومائة، فنزلت القادسية فبينا أنا أنظر إلى الناس فى زينتهم وكثرتهم، فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السـمرة ضعيف، فوق ثيابه ثوب من صوف مشتمل بشملة، فى رجليه نعلان وقد جلس منفرداً، فقلت فى نفسى: هذا الفتى من الصوفيـة يريـد أن يكون كلا على الناس فى طريقهم، والله لأمضـين إليه ولأوبخنَّه، فـدنوت فلما رآنى مقبلاً قال: يا شـقيق: [اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ] (الحُجُرات/۱۲) ثم تركنى ومضى، فقلت فى نفسى إن هذا الأمر عظيم قد تكلم بما فى نفسى ونطق بإسـمى، وما هـذا إلّا عبـد صالـح لألحقنَّه ولأسألنه أن يحللنى، فأسـرعت فى أثره فلم ألحقه وغاب عن عينى، فلما نزلنا واقصـة وإذا به

يصلّ وأعضاؤه تضطرب، ودموعه تجرى فقلت: هذا صاحبى أمضى إليه وأستحلّه. فصبرت حتى جلس، وأقبلت نحوه فلما رآنى مقبلاً قال: يا شقيق اتلُ: [وإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى] (طه/۸۲) ثم تركنى ومضى، فقلت: إن هذا الفتى لَمِنَ الأبدال، لقد تكلّم على سرّى مرتين، فلما نزلنا زُبالة إذا بالفتى قائم على البئر وبيده ركوة يريد أن يسقى ماءً، فسقطت الركوة من يده فى البئر وانا أنظر إليه، فرأيته قد رمق السماء وسمعته يقول: أنت ربى إذ ظمئت إلى الماء وقوتى إذا أردت الطعاما " اللهم سيدى مالى غيرها فلا تعدمنيها ". قال شقيق: فوالله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها فمد يده وأخذ الركوة وملأها ماءً، فتوضأ وصلى أربع ركعات، ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه فى الركوة ويحركه ويشرب، فأقبلت إليه وسلّمت عليه، فرد علىّ السلام فقلت: أطعمنى من فضل ما أنعم الله عليك، فقال: يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فاحسن ظنك بربك، ثم ناولنى الركوة فشربت منها فإذا هو سويق وسكّر، فوالله ما شربت ألذّ منه ولا أطيب ريحاً فشبعت ورويت وأقمت أياماً لا أشتهى طعاماً ولا شراباً. ثم لم أره حتى دخلنا مكة، فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب فى نصف الليل قائما يصلى بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل، فلما رأى الفجر جلس فى مصلاه يسبّح، ثم قام فصلّى الغداة وطاف بالبيت أسبوعاً وخرج فتبعته، وإذا له غاشية وموال وهو على خلاف ما رأيته فى الطريق، ودار به الناس من حوله يسلّمون عليه، فقلت لبعض من رأيته بقرب منه: من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (ع) فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلّا لمثل هذا السيد، ولقد نظم بعض المتقدّمين واقعة شقيق معه فى أبيات طويلة اقتصرت على ذكر بعضها فقال: سل شقيق البلخى عنه وما عا ين منه وما الذى كان أبصرْ قال لما حججت عاينت شخصاً شاحب اللون ناحل الجسم أسمرْ سائراً وحده وليس له زا د فمازلت دائما اتفكرْ وتوهمت أنه يسأل الناسّ ولم أدر أنه الحج الأكبر ثم عاينته ونحن نزول دون فيدٍ عَلى الكثيب الأحمر يضع الرمل فى الإناء ويشرب هْ فناديته وعقلى محير أسقنى شربة فناولنى من هُ فعاينته سويقاً وسكّر فسألت الحجيج من يك هذا؟ قيل هذا الإمام موسى بن جعفر [۳۶].

خلقه وفضائله

خلقه وفضائله

اشاره

إنما جعل الله أنبياءه وحملة رسالاته من البشر، لكى تتم الحجة على الناس فيقتدوا بهم، ولو كانوا ملائكة لكان الناس يقولون مالنا والملائكة، أوليسوا من جنس آخر؟ بلى وإن الإنسان مفطور على حب الفضيلة، وإذا تجسدت فى شخص ازداد لها حباً، ودفعته دواعى الخير فى ذاته إلى اتباعه، والسعى لكى يكون مثله. إنك لو ألقيت على شخص محاضرة مفصّلة عن فضيلة الإحسان فإنه لا يندفع بقدر ما لو حكيت له قصة رجل محسن. إن مكارم أخلاق الأئمة من أهل البيت (ع) أفضل منهاج تربوى، وإنهم - بحق - أسمى قدوات الخير والفضيلة، وإن سيرة حياتهم الحافلة بالمكرمات أقوى حجة على سلامة نهجهم فى التربية وسلامة خطتهم فى الحياة، وإن أفكارهم التى تناقلتها الرواة هى التفسير الصحيح للقرآن الحق، أوليسوا من البشر؟ إذاً كيف بلغوا هذا الشأن من العظمة، ألم يبلغوه بتطبيق هذه الأفكار التى رويت عنهم؟ بلى، أولسنا نحن أيضاً نريد العظمة؟ إذاً دعنا نقرأ تلك الأفكار ونتفاعل معها. والواقع أن التاريخ لم يحفظ لنا من سيرة الأئمة إلّا قليلاً، لأنهم كانوا محاصرين إعلامياً من قبل سلطات الجور حتى أن رواية فضيلة لهم كانت تكلِّف فى بعض العصور حياة الراوى، وكان على الشاعر دعبل أن يحمل على كتفه خشبة إعدامه لمدة ربع قرن، ويهيم على وجهه فى القفار لأنه كان يمدح أهل البيت. ومع ذلك فإن ما تبقّى من فضائلهم يعتبر دورة تربوية كاملة لمكارم الأخلاق. ولأن عاش إمامنا الكاظم (ع) فى أشد أيام الصراع وأصعب أوقات التقيّة وسرّية العمل، فإن اختراق قصصه لحصار السلطات يعتبر معجزة، وعلينا أن نستدل بما وصلتنا من قصصه وهى قليلة على ما لم تصل إلينا وهى الأكثر.

عبادته وزهده

من أبرز سمات القيادات الرسالية الزهد، والتقشف والإجتهاد فى التبتل إلى الله تعالى، وقد كان عصر الإمام الكاظم (ع) معروفاً بالعصر الذهبى، وكانت بيوت السلطة العباسية تفيض بالثروات الطائلة، وتشهد حفلات المجون، كالتى نقرأ بعضها فى قصص ألف ليلة وليلة، وفى ذات الوقت ينقل إبراهيم بن عبد الحميد ويقول: (دخلت على أبى الحسن الأول (ع) فى بيته الذى كان يصلى فيه فإذا ليس فى البيت شيء إلّا حضفة [۳۷] وسيف معلق ومصحف) [۳۸] . وكان (ع) يسعى إلى بيت الله الحرام ماشياً لشدة تواضعه لله، واجتهاده فى العبادة، وإذا عرفنا المسافة بين المدينة ومكة التى تقارب (۴۰۰) كليو متر وطبيعة الصحراء فى أرض الحجاز، عرفنا مدى تحمل الإمام للصعاب فى سبيل الله. يقول على بن جعفر (ع): (خرجنا مع أخى موسى بن جعفر (ع) فى أربع عُمَرٍ يمشى فيها إلى مكة بعياله وأهله، واحدة منهن مشى فيها ستة وعشرين يوماً، وأخرى خمسة وعشرين يوماً، وأخرى أربعة وعشرين يوماً، وأخرى واحداً وعشرين يوماً) [۳۹] . أما شدة اجتهاده فى الصلاة وهى قرة عين المؤمنين وملتقى الحبيب مع الحبيب فيقول عنها الحديث التالى: " روى أنه كان يصلى نوافل الليل، ويصلها بصلاة الصبح، ثم يعقب حتى تطلع الشمس، ويخر لله ساجداً فلا يرفع رأسه من السجدة والتحميد حتى يقرب زوال الشمس، وكان يدعو كثيراً فيقول: اللهم إنى أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب، ويكرر ذلك، وكان من دعائه (ع) عظم الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك، وكان يبكى من خشية الله حتى تخضلّ لحيته بالدموع، وكان أوصل الناس لأهله ورحمه، وكان يفتقد فقراء المدينة " [۴۰] . والواقع أن اجتهاد الإمام فى عبادة ربه والتبتل إليه بالصلوات والأدعية، هو السبب الذى بعثه الله به مقاما محموداً. وهو الذى أعطاه قدرة تحمل أعباء الرسالة التى نهض بها وضحّى بما لديه فى سبيل تبليغها، وكانت صلواته أعظم مؤنس له فى ظلِّ ظُلم الطغاة، فهذا أحمد بن عبد الله ينقل عن أبيه فيقول: (دخلت على الفضل بن الربيع وهو على سطح فقال لى: إشرف على هذا البيت وانظر ما ترى؟ فقلت: ثوباً مطروحا فقال: أنظر حسناً فتأملت فقلت: رجل ساجد، فقال لى: تعرفه؟ هو موسى بن جعفر أتفَّقده الليل والنهار فلم أجده فى وقت من الأوقات إلّا على هذه الحالة، إنه يصلى الفجر فيعقب إلى أن تطلع الشمس ثم يسجد سجدة، فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس، وقد وكّل من يترصّد أوقات الصلاة، فإذا أخبره وثب يصلّى من غير تجديد وضوء، وهو دأبه فإذا صلّى العتمة أفطر، ثم يجدد الوضوء ثم يسجد فلا يزال يصلى فى جوف الليل حتى يطلع الفجر، وقال بعض عيونه: كنت أسمعه كثيراً يقول فى دعائه: " اللهم إنك تعلم أننى كنت أسألك أن تفرِّغنى لعبادتك، اللهم وقد فعلت فلك الحمد " [۴۱] . أما قراءته للقرآن، فيحدثنا عنها حفص ويقول: (ما رأيت أحداً أشد خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر (ع) ولا أرجى للناس منه، وكانت قراءته حزناً، فإذا قرأ فكأنه يخاطب إنساناً [۴۲] . لقد علّمه القرآن الكريم أسمى القيم، ومن أبرزها الإشفاق على نفسه، والسعى الدائب لتزكيتها وخلاصها من غضب الرب، وإصلاحها لتكون موضع محبة الخالق ورضوانه. بينما كان يرجو للناس كل خير، ولم يكن رجاؤه مجرداً عن العمل، بل كان (ع) يتقرب إلى الله بالإحسان إلى الناس، فقد كان يتفقد فقراء أهل البيت فيحمل إليهم فى الليل العين والورق وغير ذلك، فيوصله إليهم وهم لا يعلمون من أى جهة هو) [۴۳] .

جوده وكرمه

بالتوكل على الله واليقين يعظم ثواب المحسنين عنده، والثقة بأنه الرزاق ذو القوة المتين. يعطى المؤمن عطاءً لا يخشى الفقر، وأئمة الهدى هم المثل الأسمى فى الكرم والجود، فهذا الإمام موسى بن جعفر (ع) مع ما كان يعيشه من ظروف قاسية، اشتهر بهذه الصفة فى الآفاق. جاء فى التاريخ رواية مأثورة عن محمد بن عبد الله البكرى، قال: (قدمت المدينة أطلب ديناً فأعيانى، فقلت لو ذهبت إلى أبى الحسن (ع) فشكوت إليه، فأتيته بنقمى فى ضيعته، فخرج إلىّ ومعه غلام ومعه منسف فيه قديد مجزع، ليس معه غيره، فأكل فأكلت معه، ثم سألنى عن حاجتى فذكرت له قصَّتى، فدخل ولم يقم إلّا يسيراً حتى خرج إلىّ فقال لغلامه: إذهب ثم مدّ يده إلىّ فناولنى

صرة فيها ثلاثمائة دينار، ثم قام فولى فقمت فركبت دابّتى وانصرفت) [۴۴] . وروى عن أبى الفرج فى مقاتل الطالبيين عن يحيى بن الحسن قال: (كان موسى بن جعفر (ع) إذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث إليه بصرة دنانير، وكانت صراره ما بين الثلاثمائة إلى المائتين دينار، فكانت صرار موسى مثلاً) [۴۵] . وجاء فى حكاية تاريخية طريفة أن المنصور العباسى تقدم إلى موسى بن جعفر (ع) بالجلوس للتهنئة فى يوم النيروز، وقبض ما يحمل إليه فقال (ع): " إنى قد فتشت الأخبار عن جدى رسول الله (ص) فلم أجد لهذا العيد خبراً، وإنه سنة للفرس ومحاها الإسلام، ومعاذ الله أن نحيى ما محاه الإسلام ". فقال المنصور: إنما نفعل هذا سياسة للجند، فسألتك بالله العظيم إلاّ جلست، فجلس ودخلت عليه الملوك والأمراء والأجناد يهنئونه، ويحملون إليه الهدايا والتحف، وعلى رأسه خادم المنصور يحصى ما يحمل، فدخل فى آخر الناس رجل شيخ كبير السن فقال له: يا ابن بنت رسول الله إنى رجل صعلوك لا مال لى أتحفك ولكن أتحفك بثلاثة أبيات قالها جدّى فى جدّك الحسين بن على (ع): عجبت لمصقول علاك فرنده يوم الهياج وقد علاك غبار ولأسهم نفذتك دون حرائر يدعون جدك والدموع غزار ألا- تغضغضت السَّهام وعاقها عن جسمك الإجلال والإكبار قال: قُبلت هديتك، إجلس بارك الله فيك، ورفع رأسه إلى الخادم وقال: إمضى إلى أمير المؤمنين وعرّفه بهذا المال وما يصنع به، فمضى الخادم وعاد وهو يقول: كلّها هبة منّى له، يفعل به ما أراد، فقال موسى للشيخ: إقبض جميع هذا المال فهو هبة منى لك) [۴۶] . وكان يلقى بكرمه عدوه فإذا به يصبح ولياً حميماً، فهذا شخص من أولاد الخليفة الثانى كان بالمدينة يؤذى أبا الحسن موسى (ع) ويسبه إذا رآه، ويشتم عليّاً، فقال له بعض حاشيته يوماً: دعنا نقتل هذا الفاجر، فنهاهم عن ذلك أشد النهى وزجرهم، وسأل عن العمرى فذكر أنه يزرع ناحية من نواحى المدينة، فركب إليه، فوجده فى مزرعة له، فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العمرى لا توطىء زرعنا، فتوطأه (ع) بالحمار حتى وصل إليه ونزل وجلس عنده، وباسطه وضاحكه، وقال له: كم غرمت على زرعك هذا؟ قال: مائة دينار، قال: فكم ترجو أن تصيب؟ قال: لست أعلم الغيب، قال له: إنما قلت كم ترجو أن يجيئك فيه؟ قال: أرجو أن يجيء مائتا دينار. قال: فأخرج له أبو الحسن (ع) صرة فيها ثلاثمائة دينار، وقال هذا زرعك على حاله، والله يرزقك فيه ما ترجو، قال: فقام العمرى فقبل رأسه وسأله أن يصفح عن فارطه، فتبسم إليه أبو الحسن وانصرف، قال: وراح إلى المسجد فوجد العمرى جالساً فلما نظر إليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالاته قال: فوثب أصحابه إليه فقالوا له: ما قضيتك؟ قد كنت تقول غير هذا، قال: فقال لهم: قد سمعتم ما قلت الآن، وجعل يدعو لأبى الحسن (ع) فخاصموه وخاصمهم، فلما رجع أبو الحسن إلى داره قال لجلسائه الذين سألوه فى قتل العمرى: إنَّما كان خيراً ما أردتم أم ما أردت؟ إننى أصلحت أمره بالمقدار الذى عرفتم وكُفيت به شره [۴۷] .

علمه

سبق الحديث عن علم الإمام ونعود هنا لنثبت رواية طريفة فى علمه، حيث ينقل عن محمد بن النعمان المعروف بأبى حنيفة إمام المذهب أنه قال: (رأيت موسى بن جعفر وهو صغير السن فى دهليز أبيه، فقلت: أين يحدث الغريب منكم إذا أراد ذلك؟ فنظر إلىّ ثم قال: يتوارى خلف الجدار ويتوقّى عن أعين الجار، ويتجنب شطوط الأنهار ومساقط الثمار، وأفنية الدور والطرق النافذة، والمساجد، ولا يستقبل القبلة، ولا يستدبرها، ويرفع ويضع ذلك حيث شاء. قال: فلما سمعت هذا القول منه، نبل فى عينى، وعظم فى قلبى فقلت له: جعلت فداك ممن المعصية؟ فنظر إلىّ ثم قال: إجلس حتى أخبرك، فجلست فقال: إن المعصية لابد أن تكون من العبد أو من ربه أو منهما جميعاً، فإن كانت من الله تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله، وان كانت منهما فهو شريكه، والقوى أولى بإنصاف عبده الضعيف، وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر، وإليه توجه النهى، وله حق الثواب والعقاب، ووجبت الجنة والنار فقلت: [ذريةً بعضها من بعض] (آل عمران / ۳۴). وروى عنه الخطيب فى تاريخ بغداد، والسمعانى فى الرسالة القومية، وأبو صالح أحمد المؤذن فى الأربعين، وابو عبد الله بن بطة فى الإبانة، والثعلبى فى الكشف والبيان، وكان أحمد بن حنبل مع انحرافه عن أهل البيت (ع) لما روى عنه قال: حدثنى موسى بن جعفر قال: حدثنى أبى جعفر بن محمد وهكذا إلى النبى (ص) ثم قال أحمد:

(وهذا إسناد لو قُرِأ على المجنون أفاق).

شجاعته واستقامته

لقد حمل الإمام أعباء رسالات الأنبياء بذات العزيمة العظيمة التى كانت للنبيين (ع). لقد تحدى كل طغيان الإستكبار، وكل تراكمات الفساد بثقة مطلقة برب العالمين. حينما يأتيه الفضل بن الربيع ويقول له: استعد للعقوبة يا أبا إبراهيم رحمك الله فقال (ع): " أليس معى من يملك الدنيا والآخرة ولن يقدر اليوم على سوء بى إن شاء الله ": وحينما يدخل على هارون الرشيد ذلك الطاغية الذى كان يخاطب مرة السحاب ويفتخر بسعة سلطانه، فيقول: شرِّقى غرِّبى فأنّى ذهبت فخراجك إلىّ. يقول له هارون: ما هذه الدار؟ فقال الإمام: هذه دار الفاسقين، قال الله تعالى: [سَاَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِىَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى الاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لاَيُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً] (الاعراف/۱۴۶) فقال له هارون: فدار من هى؟ قال: " هى لشيعتنا فترة، ولغيرهم فتنة ". قال: فما بال صاحب الدار لا يأخذها؟ فقال: " أخذت منه عامرة ولا يأخذها إلّا معمورة ". قال فأين شيعتك، فقرأ أبو الحسن (ع): [لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ] (البَيِّنَةِ/۱) قال: فقال له: فنحن كفّار؟ قال: لا.. ولكن كما قال الله: [الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ الله كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ] (ابراهيم/۲۸) فغضب عند ذلك وغلّظ عليه [۴۸]. ومن المعتقل حيث تحيط به جلاوزة السلطات المجرمون، كتب رسالة إلى الرّشيد جاء فيها: " إنه لن ينقضىَ عنّى يوم من البلاء إلّا انقض عنك معه يوم من الرضاء، حتى نقضى جميعاً إلى يوم ليس له إنقضاء يخسر فيه المبطلون " [۴۹].

محنته وشهادته

بعد محنة أبى عبد الله الحسين (ع)، وأكثر من سائر أئمة الهدى من أهل بيت الرسول، كانت محنة أبى إبراهيم موسى بن جعفر (ع) شديدة وأليمة. لقد كان الرّشيد يترصده ولا يقدر عليه، ولعله كان يخشى من بعث جيش إليه خوف انقلابه وتحوله إلى صفِّه، وكانت السرّية التى عمل بها الرساليون تجعل السلطات لا تثق بأقرب الناس إليهم، فهذا على بن يقطين وزير الرّشيد، وذاك وزيره الآخر جعفر بن محمد بن الأشعث شيعيان، كما كان من بين قيادات جيشه، وأبرز ولاته على الأمصار من يخفى ولائه لآل البيت (ع)، فلذلك قرر الذهاب بنفسه إلى المدينة، لإلقاء القبض عليه، وأخذ معه قوّاته الخاصة، بالإضافة إلى جيش من الشعراء، وعلماء السلاطين، والمستشارين و. و. كما أنه حمل معه الملايين مما سرقه من المحرومين، فقسّمها بين الناس لشراء سكوتهم. وخص منهم رؤساء القبائل ووجوه وأعيان المعارضة. هكذا ذهب الرّشيد إلى المدينة ليلقى القبض على أعظم معارضى سلطانه الغاصب، لننظر ما فعل: أولاً: جلس عدة أيام يستقبل الناس ويأمر لهم بالصِّلات السخية، حتى أشبع بطون المعارضين، ممن كانت معارضتهم للسلطة لأسباب شخصية ومصالح خاصة. ثانياً: بعث فى البلد من يبث الدعايات ضد أعداء السلطان، وأغرى الشعراء وعملاء السلطة من أدعياء الدين بمدح السلطان وإصدار الفتاوى بحرمة محاربته. ثالثاً: استعرض قوّته لأهل المدينة لكى لا يفكر أحد بمقاومته فى هذا الوقت بالذات. رابعاً: وحينما أكمل استعداده قام شخصياً بتطبيق البند الأخير من خطته الإرهابية، فدخل مسجد رسول الله، ربما فى وقت يجتمع الناس لأداء الفريضة، ولا يتخلف عنهم - بالطبع - الإمام موسى بن جعفر (ع). ثم تقدم إلى قبر الرسول وسلم عليه: وقال: السلام عليك يا رسول الله، يا ابن عم. وكان هدفه إثبات شرعية خلافته لرسول الله، لتكون سبباً وجيهاً لاعتقال الإمام (ع)، ولكن الإمام فوّت عليه هذه الفرصة، وشق الصفوف حتى تقدمها وتوجه إلى القبر الشريف وقال فى ذهول الجميع: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا جدّاه. فلإن كان رسول الله ابن عمك يا سلطان الجور، وإنّك تدّعى شرعية سلطتك بانتمائك النسبى لرسول الله (ص)، فإنه أقرب إلىّ، فهو جدى وأنا أحقَّ بخلافته منك. ولكن الرّشيد استدرك الموقف وقال وهو يبرّر عزمه على اعتقال الإمام بالقول: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، إنى أعتذر إليك من أمر عزمت عليه، وإنى أريد أن آخذ موسى بن جعفر فأحبسه، لأنى قد خشيت أن يلقى بين

أمتك حرباً تسفك فيها دماؤهم. فلما كان اليوم التالى أرسل إليه الفضل بن الربيع وهو قائم يصلى فى مقام رسول الله، فأمر بالقبض عليه وحبسه [۵۰] . وأخرج من داره بغلان عليهما قبتان مغطاتان هو فى أحدهما، ووجّه مع كل واحدة منهما خيلًا فأخذ بواحدة على طريق البصرة، والأخرى على طريق الكوفة، ليعمى على الناس امره، وكان الإمام فى القبة التى مضت على البصرة، وأمر الرسول أن يسلم إلى عيسى بن جعفر بن المنصور، وكان والياً يومئذ على البصرة فمضى به فحبسه عنده سنة. ثم كتب إلى الرّشيد أن خذه منّى، وسلّمه إلى من شئت، وإلّا خلّيت سبيله، فقد اجتهدت بأن أجد عليه حجة، فما أقدر على ذلك، حتى أنى لأتسمّع عليه إذا دعا لعله يدعو علىّ أو عليك فما أسمعه يدعو إلّا لنفسه، يسأله الرحمة والمغفرة، فوجّه من تسلمه منه، وحبسه عند الفضل بن الربيع ببغداد، فبقى عنده مدة طويلة، وأراده الرّشيد على شىء من أمره فأبى، فكتب بتسليمه إلى الفضل بن يحيى، فتسلّمه منه وأراد ذلك منه فلم يفعل، وبلغه أنه عنده فى رفاهية وسعة، وهو حينئذ بالرقة. فأنفذ مسروراً الخادم إلى بغداد على البريد، وامره أن يدخل من فوره إلى موسى بن جعفر (ع) فيعرف خبره، فإن كان الأمر على ما بلغه أوصل كتاباً منه إلى العباس بن محمد وأمره بامتثاله، وأوصل منه كتاباً آخر إلى السندى بن شاهك يأمره بطاعة العباس [۵۱] . وتمضى الرواية التاريخية لتقول: وبلغ يحيى بن خالد فركب إلى الرّشيد ودخل من غير الباب الذى يدخل الناس منه، حتى جاءه من خلفه وهو لا يشعر، ثم قال: التفت إلىّ يا أمير المؤمنين فأصغى إليه فزعاً، فقال له: إن الفضل حدث وأنا أكفيك ما تريد، فانطلق وجهه وسرّ وأقبل على الناس فقال: إن الفضل كان عصانى فى شىء فلعنته وقد تاب وأناب إلى طاعتى فتولوه، فقالوا له: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت وقد توليناه. ثم خرج يحيى بن خالد بنفسه على البريد حتى أتى بغداد فماج الناس وأرجفوا بكل شىء، فأظهر أنه ورد لتعديل السواد، والنظر فى أمر العمّال وتشاغل ببعض ذلك، ودعا السندى فأمره فيه بامره، فامتثله وسأل موسى (ع) السندى عند وفاته أن يحضره مولى له ينزل عند دار العبّاس بن محمد فى أصحاب القصب ليغسله، ففعل ذلك، قال: وسألته أن يأذن لى أن أكفّنه فأبى وقال: (إنا أهل البيت مهور نسائنا وحجّ صرورتنا، وأكفان موتانا من طاهر أموالنا، وعندى كفنى). فلما مات أدخل عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدى وغيره فنظروا إليه ولا أثر به، وشهدوا على ذلك وأخرج فوضع على الجسر ببغداد، ونودى: هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا إليه، فجعل الناس يتفرّسون فى وجهه وهو (ع) ميت. قال: وحدّثنى رجل من بعض الطالبيّين أنه نودى عليه: هذا موسى بن جعفر الذى تَزعم الرافضة أنه لا يموت، فانظروا إليه، فنظروا إليه. قالوا: وحمل فدفن فى مقابر قريش، فوقع قبره، إلى جانب رجل من النوفلّيين يقال له عيسى بن عبد الله [۵۲] . وتنقل الروايات التاريخية: أن الإمام (ع) كان يتصل بشيعته وأهل دعوته من السجون التى يتناقل فيها، ويأمرهم بأمره، كما انه كان يجيب عن مسائلهم السياسية، والفقهية. وقد نتساءل: كيف كان (ع) يتصل بهم، لعله بطرق غيبية، ولكن أحاديث كثيرة تبيّن لنا أن أكثر من سجن عندهم الإمام (ع) قالوا بإمامته، بالرغم من أن السلطة كانت تختار سجّانه من بين أغلظ الناس وأكثرهم ولاءً لها، لما كانوا يرونه فيه من شدة الإجتهاد فى العبادة، وغزارة العلم ومكارم الأخلاق، ولما كانوا يرونه منه من كرامات. وفى كتاب الأنوار قال العامرى: إن هارون الرشيد أنفذ إلى موسى بن جعفر جارية خصيفة، لها جمال ووضاءة لتخدمه فى السجن، فقال قل له: [بَلْ أَنْتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ] (النَّمْل/۳۶). لا حاجة لى فى هذه ولا فى أمثالها، قال: فاستطار هارون غضباً وقال: إرجع إليه وقل له: ليس برضاك حبسناك ولا برضاك أخذناك، واترك الجارية عنده وانصرف، قال: فمضى ورجع، ثم قام هارون عن مجلسه وأنفذ الخادم إليه ليستفحص عن حالها فرآها ساجدة لربها لا ترفع رأسها تقول: قدوس سبحانك سبحانك. فقال هارون: سحرها والله موسى بن جعفر بسحره، علىّ بها، فأتى بها وهى ترعد شاخصة نحو السماء بصرها فقال: ما شأنك؟ قالت: شأنى الشأن البديع، إنّى كنت عنده واقفة وهو قائم يصلى ليله ونهاره، فلما انصرف عن صلاته بوجهه وهو يسبح الله ويقدّسه قلت: يا سيدى هل لك حاجة أعطيكها؟ قال: وما حاجتى إليك؟ قلت: إنى أدخلت عليك لحوائجك قال: فما بال هؤلاء؟ قالت: فالتفت فإذا روضة مزهرة لا أبلغ آخرها من أولها بنظرى، ولا أولها من آخرها، فيها مجالس مفروشة بالوشى والديباج، وعليها وصفاء ووصائف لم أرَ مثل وجوههم حسناً، ولا مثل لباسهم لباساً، عليهم الحرير الأخضر، والأكاليل والدرّ والياقوت، وفى أيديهم الأباريق والمناديل ومن كل الطعام، فخررت ساجدة حتى

أقامنى هذا الخادم فرأيت نفسى حيث كنت. قال: فقال هارون: يا خبيثة لعلك سجدت فنمت فرأيت هذا فى منامك؟ قالت: لا والله يا سيدى إلّا قبل سجودى رأيت فسجدت من أجل ذلك، فقال الرّشيد: إقبض هذه الخبيثة إليك، فلا يسمع هذا منها أحد، فأقبلت فى الصلاة، فإذا قيل لها فى ذلك قالت: هكذا رأيت العبد الصالح (ع)، فسئلت عن قولها قالت: إنى لما عاينت من الأمر نادتنى الجوارى يا فلانة ابعدى عن العبد الصالح، حتى ندخل عليه فنحن له دونك، فما زالت كذلك حتى ماتت، وذلك قبل موت موسى بأيام يسيرة. هذه هى كرامة الإمام (ع) على الله، وتلك هى عاقبة الرّشيد الظَّالم الطَّاغى. نسأل الله العلى العظيم أن يجعلنا ممن يتولى أوليائه، ويتبرأ من أعدائه، ويسير على نهجهم أئمة الهدى من آل محمد (صلى الله عليه وعليهم اجمعين) والحمد لله رب العالمين.

پاورقى

[۱] راجع موسوعة بحار الأنوار: (ج ۴۸، ص ۴) وأيضاً كتاب المحاسن للبرقى: (ج ۲، ص ۴۱۸).

[۲] موسوعة البحار: (ج ۴۸، ص ۲).

[۳] المصدر: (ص ۶) نقلاً عن الكافى: (ج ۱، ص ۴۷۷).

[۴] المصدر: (ص ۱۸۱ ج ۴۸).

[۵] المصدر.

[۶] البهمة الواحدة من الضأن، والعناق الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم لها سنة.

[۷] المصدر.

[۸] المصدر. (ص ۲۰).

[۹] المصدر: (ص ۲۱).

[۱۰] بحار الأنوار: (ج ۴۸، ص ۲۹۱).

[۱۱] مقاتل الطالبيين: (ص ۵۰۵).

[۱۲] من نواحى رامهرمز فى خوزستان إيران.

[۱۳] موسوعة البحار: (ج۴۸، ص ۲۶۰).

[۱۴] المصدر: (ص ۲۲۶ – ۲۲۷).

[۱۵] المصدر: (ص ۱۷۶، ۱۷۸).

[۱۶] المصدر: (ص ۱۷۹) الهامش عن شرح مشيخة الفقيه: (ص ۵۶ – ۵۷).

[۱۷] المصدر: (ص ۱۷۴).

[۱۸] على بن يقطين بن موسى البغدادى مسكناً، والكوفى أصلاً، مولى بنى أسد يكنى أبا الحسن، من وجوه هذه الطائفة، جليل القدر، وقد ضمن له الإمام الكاظم (ع) الجنة وأن لا تمسه النار، وفى الكشى أحاديث دلت على عظم شانه وجلالة قدره، وأنه كان يحمل إلى الإمام الكاظم (ع) أموالاً طائلة، فربما حمل مائة ألف إلى ثلاثمائة ألف، وكان على يبعث فى كل سنة من يحج عنه حتى أحصى له فى بعض السنين مائة وخمسين أو ثلاثمائة ملبى، وكان يعطى بعضهم عشرة آلاف وبعضهم عشرين ألف، مثل الكاهلى وعبد الرحمن بن الحجاج وغيرهما، ويعطى أدناهم ألف درهم، له كتب رواها عنه أبنه الحسن وأحمد بن هلال مات سنة ۱۸۲ فى أيام حياة أبى الحسن الكاظم ببغداد، وأبو الحسن فى سجن هارون وقد بقى فيه أربع سنين ". باقتضاب عن شرح مشيخة الفقيه: (ص۴۷) عنه هامش كتاب البحار: (ص ۱۷۸، ج ۴۸.")

[۱۹] المصدر: (ص ۵۹ – ۶۰).

[۲۰] المصدر: (ص ۳۵). ويبدو ان الامام امرهم بالانصراف من زيارة النبى (ص) والاكتفاء بزيارة خليفته زيارة مباشرة، وذلك حين قال: اما رسول الله فقد رأيتماه.

[۲۱] المصدر: (ص ۳۸ – ۳۹).

[۲۲] المصدر: (ص ۲۴۱).

[۲۳] العلّامة المجلسى خصص فى موسوعته بحار الأنوار الجزء ۴۸ جزءاً مفصلًا (من ص ۲۹ – ۱۰۰) حول بعض معاجزه.

[۲۴] المصدر: (ص ۲۱۳ – ۲۱۵).

[۲۵] المصدر: (ص ۶۶).

[۲۶] المصدر: (ص ۴۵).

[۲۷] المصدر: (ص ۴۴).

[۲۸] المصدر / (ص ۸۵).

[۲۹] المصدر: (ص ۴۵ – ۴۶).

[۳۰] المصدر: (ص ۴۶ – الرقم ۳۰).

[۳۱] بحار الانوار: (ج ۲، ص ۱۷۴).

[۳۲] المصدر: (ص ۶۴، ۶۵).

[۳۳] المصدر: (ص ۷۰) (/۹۳).

[۳۴] المصدر: (ص ۷۶).

[۳۵] المصدر: (ص ۵۸).

[۳۶] المصدر: (ص ۸۰ – ۸۲).

[۳۷] الحضفة: الحيكة تعمل من الخوص للتمر، وأيضاً يقال للثوب الغليظ جداً.

[۳۸] المصدر: (ص ۱۰۰).

[۳۹] المصدر.

[۴۰] المصدر: (ص ۱۰۲).

[۴۱] المصدر: (ص ۱۰۷، ۱۰۸).

[۴۲] المصدر: (ص ۱۱۱).

[۴۳] المصدر: (ص ۱۰۸).

[۴۴] المصدر: (ص ۱۰۲).

[۴۵] مقاتل الطالبيين (ص ۱۰۴).

[۴۶] المصدر: (ص ۱۰۸).

[۴۷] المصدر: (ج ۵۶، ص ۱۰۲ – ۱۰۳).

[۴۸] البحار: ج ۵۶ (ص ۲۲۳).

[۴۹] المصدر: (ص ۱۴۸).

[۵۰] المصدر: (ص ۲۱۳).

[۵۱] المصدر: (ص ۲۳۳).

[۵۲] المصدر: (ص ۲۳۴) نقلاً عن كتاب الغيبة للطوسى: (ص ۲۲).

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹